الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية أحمد دراية– أدرار–

كلية :العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية **شعبة :تاريخ**

قسم: العلوم الإنسانية

دور الرحالة و المستكشفون في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية1844_1910

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تاريخ إستعمار وحركات التحرر في إفريقيا مابين القرنين 20/15

❖ **إعداد الطالبتين**

– سليمة هندي.

– رحمة فندوقومة.

❖ **إشراف الأستاذ:**

– الصافي ختير

السنة الجامعية 1434-1435/2013-2014

إهداء

قال تعالى " **وما توفيقي إلا بالله**"الحمد لله الذي هدانا ووفقنا لهاذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "،**والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى.**

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى من ملكة عرش كياني، واستأثرت على كل حبي.الى من أرتفعت روحها الى ربها والتي أتمنى من كل قلبي أن ترقد روحها بسلام **"أمي مريم"** الحبيبة رحمها الله.

- الى من ذكره يطمئن قلبي. الى من أوصلني الى بر الآمان، الى من عطاءه بلا حدود، الى من هو رمز للوجود وهو معلمي في هذه الحياة ونور عيني **" أبي أحمد"** شفاه الله وحفظه ورعاه وأطال عمره.
- إلى من غمرتني بحبها ودعواتها ونصحها **"زوجة أبي أمباركة"** أطال الله عمرها.
- الى سندي ونور عيني الى من قاسموني حليب أمي وعطف أبي "إخواني وأخواتي " "رحمهم الله " والى أختي الوحيدة **"فاطنة"**حفظها الله ورعاها.
- الى من يزيدونني فخراً وعتزازاً وهم سندي وعوني" وأخوالي وخالاتي". **"أمباركة، مستورة، عبد الهادي، محمد"** وأبناء خالي"آمال،فاطمة، إسماعيل، أحمد" وفقهم الله.
- والى من كانوا نعم العون والسند اصدقائي : **فاطمة ميموني ،مريم ،رشيدة ،سعاد ، فاطمة علاني .**
- الى من شاركتني وتحملت معي أعباء وعناء هذا العمل **"رحمة"**
- مدير ومعلمي وعمال وتلاميذة إبتدائية أمحمد الشريف باولاد علي .
- الى أساتذتي الكرام.
- الى كل اساتذة كلية علوم انسانية خاصة قسم تاريخ .
- الى طلاب العلم الزاخر والمعرفة المفيدة، والى طلبة قسم التاريخ.
- إليكم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد.

سليمة

اهداء

انطلاقا من القول: " من لم يشكر الناس لا يشكر الله" اهدي هذا العمل المتواضع والنير إلى :

- ✓ من سهروا لأرقد وتعبوا لأرتاح وجاعوا لأشبع وعطشوا لأرتوي من عرضوا نفسهم للخطر ليحموني وصبروا عليا حتى أكبر والدي ووالدتي أطال الله في عمرهما ونصرهما ورعاهما وأدخلهما الجنة برحمته الواسعة.
- ✓ من هم سندي وبهجة حياتي ونصرتي أخواتي (عبد الغاني، محمد، وعبد الجليل وزوجته وشمعة حياتهم "فردوس"، أحمد وزوجته) وإخوتي (نورة وإبتسام).
- ✓ من قال فيهم الشافعي:

سلامً على الدنيا إذ لم يكن *** بها صديقًا صادق الوعد منصافا.

كل الأصدقاء الذين سهروا معي ساعدوني وساندوني ووقفوا معي في كل لحظة لإتمام هذا البحث اخص بالذكر صديقي عبد الصمد ،مريم ، رشيدة، سليمة،...والى كل صديق من قريب وبعيد ولو بالكلمة الطيبة أو الرأي والإرشاد اهدي لهم هذا. إلى كل تلاميذ المتوسطة وعاملي الإدارة واخص بالذكر المدير.

- ✓ الى احبائي طالبات العلم بالخصوص شعبة ماستر استعمار.
- ✓ من علمني ولو حرفًا واحدًا كل الأساتذة (اخص منهم أستاذ خثير) والعاملين بالجامعة، وكل من وجهني ونصحني فمنهم من جري اسمهم على لساني ومنهم من سبح اسمهم في أفكاري ومنهم من هو بعدي سيخلد ويرى بحثي فكل واحدًا باسمه اهدي لهم هذا العمل المتواضع والهادف وارجوا ان أكون قد وفقة.
- ✓ وعذرًا للكل فلن ولن تفي هذه الكلمات مقدارهم.

أحمد

شكر وعرفان

قال الله تعالى" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدنا الله"

الحمد لله والشكر له في السر والإعلان على جزيل عطائه. الحمد لله الذي وفقنا لبلوغ هذه المرتبة من العلم والمعرفة. وجزيل الثناء عليه إذ وفقنا لإتمام هذا العمل.

والصلاة والسلام على المختار حبيب الله.

وكما يقال من لم يشكر الناس لم يشكر الله

فالشكر موصول الى من وجهني وحفزني على الجد والمثابرة وتحملت مشقة الإشراف على هذا العمل أستاذي المشرف **"ختير الصافي"** والذي لم يبخل بنصحه وإرشاده لنا.

- كما نتوجه بالشكر الجزيل الى المعلم "جوان الصالح" الذي ساعدني بمعلوماته القيمة جزاه الله كل خير.
- الى من ساعدتني في عملي هذا الأخت "نصيرة الطالب أمحمد"

الشكر موصول أيضاً الى جميع أساتذة قسم التاريخ الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

- والى كل من وضع بصمة ولو بسيطة في جمع المعلومة إعداد وإخراج هذا العمل المتواضع.

-الى شهداء وشهيدات هذا الوطن الغالي الذين ضحوا من أجل حريته.

-الى كل من دعى لنا بالتوفيق في هذا العمل وفي مشوارنا الدراسي.

سليمة

راحة

مقدمة

إن الدارس لتاريخ الجزائر المعاصر يلمس الكثير من الحقائق التي تطرح عدة تساؤلات والتي يمكن ان تكون موضوع الدراسات التاريخية المعمقة، خاصة تلك المتعلقة بتاريخ صحراء الجزائر منذ نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، وذالك ابان الاستعمار الفرنسي لها خاصة وأن المثقفين والمؤرخين يعتمدون ولحد الساعة على الكتابات الاستعمارية التي باعتبارها المصدر الوحيد فيما يتعلق بتاريخنا خاصة، مما جعلها تحمل الكثير من المغالطات التي ما زالت عالقة بتاريخنا الى يومنا هذا.

لقد عرف الاوروبيون الصحراء وعلاقاتها التجارية المزدهرة مع بلدان شمال افريقيا من خلال ما قدمه الرحالة العرب والمسلمين في العصور الوسطى امثال حسن الوزان (وصف افريقيا)، وهذا يبرز لنا ان الاهتمام الاوروبي كان سابق عن الاحتلال الفرنسي للصحراء من خلال الرحلات الاستكشافية، بالإضافة الى اهتمامهم بمعرفة مختلف الطرق الصحراوية من خلال تتبع الانهار الافريقية، وأنشأوا الجمعيات الجغرافية والعلمية التي كانت تمول البعثات الاستكشافية حيت كانت انجلترا السابقة في هذا المجال حيث شكلت سنة 1877 الجمعية الافريقية، وقد اقتصرت مهمة هذه الجمعية على جمع المعومات عن منطقة الصحراء من سكان وعادات وتقاليد قصد تسهيل الدخول للقارة.

شجعت هذه الرحلات الاستكشافية الانجليزية والالمانية للصحراء الفرنسيين لخوض غمار الاستكشاف، وبدأت مغامرتهم في الصحراء الافريقية برحلة روني كابييه الذي يعتبر من السابقين الاوائل للتوغل في أعماق الصحراء الجزائرية، إذ عبرها انطلاقا من السنغال حتى تمبكتو، وتوالت الرحلات الى الصحراء حتى مجيء بعثة الكولونيل فلاترز حيث ضمت بعثته العديد من الشخصيات البارزة من ضباط ومهندسين، وتميزت مغامراته برحلتين الاولى ماي 1881م والثانية ديسمبر 1881م، هذه البعثة التي سوف تكون سببا في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية. إن البحث في تاريخ الجزائر عامة والصحراء خاصة، لازال يحتاج الى التدقيق لأنه كما ذكر سابقا يقتصر اساسا على الكتابات الاستعمارية، الفرنسية التي تخفي

اهدافها ومصالحها، ويقتصر موضوع دراساتنا على التوسع الفرنسي في الصحراء ما بين 1844 _ 1881م.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يتناول دراسة تاريخية لأحد الأقاليم الجزائرية وينفض الغبار عن منطقة من مناطق الجزائر، والتي مازالت الى حد الساعة بحاجة الى دراسة معمقة ودقيقة، ويسلط الضوء على احدى صفحات جهاد الشعب الجزائري الصحراوي ضد التوسع الفرنسي ويكشف على وقائع وأحداث تاريخية كنا نجهلها نحن الدارسون للموضوع، ويجهلها العديد من الجزائريين عامتهم ومثقفيهم، وتتمحور دراستنا حول ابراز الدور الذي قام به الرحالة المستكشفون في تسهيل عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية بصفة خاصة، وإفريقيا عامة، ويدخل في إطار المرحلة الإمبريالية القاضية بتقسيم القارة السمراء بين الدول العظمى، لذلك عرفت هذه المناطق توافد عدد من الرحالة والمستكشفين الذين كان هدفهم الاساسي التعرف على مناطق الصحراء الكبرى والمناطق الواقعة جنوبها.

دوافع اختيار الموضوع:

إجتمعت دوافع جعلتنا نبحث في هذا الموضوع، هذه الدوافع تمثلت بين الدوافع الذاتية والموضوعية.

الدوافع الذاتية:

1. بدأ اهتمامنا بالموضوع بعد قراءتنا لكتاب التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881 _ 1912م، والاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 _

1934م، للمؤلف والدكتور ابراهيم مياسي، وهذا ما حفزنا للبحث والتدقيق في تاريخ المنطقة.

2. الرغبة الجامحة للبحث في تاريخ الجزائر عامة وتاريخ الصحراء خاصة والذي مازال يحمل في طياته العديد من الغموض.
3. تمثل هذه المقاومات محطة هامة في مقاومة سكان المنطقة بصفة خاصة والتي هي مجهولة لدى الطلبة والباحثين.

الدوافع الموضوعية:

1. محاولة البحث عن الإستراتيجية التي طبقتها فرنسا للتوسع في الصحراء الجزائرية.
2. التعرف على أهم المقاومات الشعبية والتي وقفت بالمرصاد ضد التوسع الفرنسي قي الصحراء.
3. الرغبة من خلال الدراسة في المساهمة ولو بشكل متواضع في إثراء حقل البحث العلمي والمكتبي ببحوث ودراسات أكاديمية.

الاشكالية:

من خلال دراستنا هذه نحاول التعرف على جغرافية المنطقة من حيث الموقع والتعرف على بعض ساكني المنطقة والاستراتيجية التي اتبعتها فرنسا لتحقيق مشاريعها الاستعمارية التوسيعية، ودور المقاومات الشعبية بالمنطقة لصد هذا التوسع الإمبريالي وهذا يقودنا إلى طرح الاشكالية التالية:

هل يمكن ارجاع اهتمام فرنسا بالصحراء الى الدور الذي قام به الرحالة والمستكشفون إلى المنطقة؟ أو هو وليد منافسة أوروبية على الصحراء الجزائرية؟

وهذا يقودنا الى طرح عدة تساؤلات فرعية:

1. هل كان لجغرافية المنطقة دور للتوسع الفرنسي في الصحراء؟
2. الى اي مدى ساهمت البعثات الاستكشافية والتنصيرية والجمعيات الجغرافية في التوغل الاوروبي للصحراء؟
3. ماهي الاستراتيجية التي طبقتها فرنسا للتوسع في الصحراء؟ وماهي مراحلها وكيف كانت انعكاساتها على المناطق التي توسعت فيها؟

منهج البحث:

إن طبيعة وإشكالية البحث تفرض على الباحث دائما أنواعا محددة من المناهج مما يجعله لا يكتفي بمنهج واحد فقط من أجل دراسته لذلك اعتمدنا في دراستنا على منهجين:

المنهج الوصفي: اعتمدنا عليه لأنه يعتمد على سرد الوقائع والأحداث التاريخية بطريقة كرونولوجية حسب التسلسل الزمني، فيما يتعلق في سرد الرحلات والمستكشفين وكذا الأحداث التي إرتبطت بها وسير الحملات التوسيعية في الصحراء، ووصف المعالم الجغرافية من مظاهر طبيعية واجتماعية واقتصادية، وكيفية سير وخوض المعارك من أجل إعطاء صورة للقارئ وفق نسق تاريخي.

المنهج التحليلي: استعملنا في تحليل بعض المصطلحات التاريخية مثل الالتباس الذي ميز شخصية دوفوكو الذي لعب دورين مبشر والجاسوسة، وتحليل بعض الأحداث التاريخية.

خطة البحث:

ان بحثنا هذا يتألف من مقدمة وثلاث فصول وثمان مباحث وخاتمة.

الفصل ألأول: خصصناه للتعريف بإقليم الصحراء درسنا فيه الخصائص الطبيعية والبشرية للإقليم بالإضافة الى سياسة الاستيطان في الصحراء الجزائرية.

المبحث الأول الخصائص الطبيعية تناولنا فيه تحديد الموقع الجغرافي من مناخ وتضاريس وحدود التي تحده مع بقية الأقاليم الجزائرية بالإضافة الى مظاهر السطح والغطاء النباتي وشبكة الأودية .

المبحث الثاني تناولنا فيه الخصائص التي تميزه عن سكان الشمال وأهم ساكني المنطقة الصحراوية.

المبحث الثالث: تناولنا فيه أهم الأساليب والطرق التي اتبعتها فرنسا للتوغل داخل القارة بالإضافة الى مشاريع خطوط السكك الحديدية، والتعرف على أهم المدن والواحات التي ساعدت فرنسا للتمسك بها والإمكانات الاقتصادية التي تزخر بها الصحراء.

الفصل الثاني: مرحلة الاستكشافات: قد قسمناه الى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: البعثات الاستكشافية وقد قسمناه حسب تصنيف طبيعة البعثات الى بعثتين من حيث الطابع العلمي والجغرافي ثم البعثات التي غلب عليها الطابع السياسي.

المبحث الثاني: الحملات التنصيرية في البداية قمنا بتعريف كلا من التنصير والتبشير تم بدأنا بالحديث عن نشاط الكاردينال لافيجري باعتباره أول المهتمين بتنصير الصحراء الجزائرية، ثم يليه نشاط الأب الجاسوس المنصر شارل ديفوكو.

المبحث الثالث: الجمعيات الجغرافية وقد تطرقنا الى اهم الجمعيات التي كان لها دور كبير في تشجيع المستكشفين والرحالة من اجل خوض غمار الاستكشاف نحو اعماق الصحراء الكبرى.

الفصل الثالث

المبحث الأول التوسع الفرنسي قي الصحراء الجزائرية من خلا بعثة الكولونيل فلاترز، في البداية قمنا بإعطاء نبذة مختصرة عن حياة الكولونيل فلاترز، ثم سير حملة والتي تميزت بمرحلتين: الأولى في ماي 1881 والثانية في ديسمبر 1881

المبحث الثاني تعرضنا فيه الى بعض مناطق التوسع الفرنسي من خلال البعثة وقسمنا مناطق النفوذ الى ثلاث مناطق القسم الشرقي الصحراوي والأوسط والجنوب الغربي حيث تناولنا في كل قسم أهم المعارك التي وقفت في وجه هذا التوسع.

المبحث الثالث: انعكاسات هذا التوسع على المناطق التي سيطرة عليها **صعوبات البحث:**

تكمن صعوبات البحث في عدم امكانيات الوصول الى المادة المصدرية خاصة الوثائق التي توحي بموضوع الدراسة خاصة فترة الاحتلال الفرنسي للصحراء بسبب البعد وعدم توفر الإمكانيات المادية المساعدة على السفر.

التضارب في المراجع وتداخل الأحداث خاصة فيما يتعلق بالإحصائيات، مما يصعب في الكثير من الأحيان عملية التخلص من ظاهرة التكرار.

إن البحث في هذا الموضوع يتطلب الاطلاع على الأرشيف الفرنسي خاصة وأن الدراسات العربية قليلة جدا.

صعوبة الحصول على شهادات حية في الموضوع لبعد فترة الدراسة زمنيا.

الخاتمة.

المصادر المعتمد عليها:

مترجم بالعربية

جيهارد روهلفس: رحلة من البحر الأبيض المتوسط الى بحيرة تشاد، والى خليج غينيا، ترجمة عماد الدين غانم، ج 01، ط 01، مركز الدراسات والبحوث الإفريقية، سيها، 1994م

Max archan : hitoire abrègèe de l’algèrie partie shara1957

المراجع بالعربية

1. عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844_1916
2. مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 _ 1934.
3. مياسي ابراهيم، توسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881 _ 1912

الفصل الاول

جغرافية الصحراء الجزائرية:

تعتبر الصحراء الجزائرية بما فيها الصحراء الكبرى الإفريقية قلب العالم لما تمتلكه من موقع استراتيجي جعلها بمثابة جسر عالمي يربط الأجزاء المختلفة شمالاً وجنوبا شرقاً وغرباً، لهذا اهتم الأوربيون منذ أن خرجوا من قارتهم في العصر الحديث بغية الكشوفات الجغرافية، ومن تم التوسع الاستعماري فيما وراء البحار، حيث أرادوا خلال القرنين 18-19 كشف أسرارها ومعرفة أحوارها.

تعريف الصحراء

عند ابن منظور: الأرض المستوية في لبن وغليظ دون الفقر ،وقيل أنها الفضاء الواسع[1].

وعند اليعقوبي: ربط إسم الصحراء بالمقبرة، أو المكان الذي يدفن فيه الناس موتاهم.[2]

ويعرفها الجغرافيون: عظيمة الإتساع، تشمل على مرتفعات مثل التبستي في ليبيا، تشاد والهقار في الجزائر.[3]

ومن خلال دراستنا سنتعرف على الخصائص الطبيعية والبشرية وأهم المستوطنات التي اتخذها الإستعمار الفرنسي في الصحراء بالإضافة إلى أهم الطرق التي إتبعتها الفرنسا للتوسع في الصحراء الجزائرية، محاولين أن تستكشف تميزها الذي لفت أنظار المستعمر لها.

[1] ابو الفضل منظور: لسان اعرب، مج 04 ، ط 01 ، دار الصادر بيروت ، 1997، ص 16

[2] أحمد ابن اسحاق اليعقوبي: معجم البلدان، تر: محمد الأمين الضاوي، ط 01 ، دار الكتب العلمية بيروت، 2002، ص 103

[3] عبد القادر مصطفى ، جغرافية القارة الإفريقية وجزورها، ط 01 ، الدار الجماهيرية مصراتة، 2000، ص 37

المبحث الأول: خصائص جغرافية الصحراء

أولاً: تحديد الموقع والحدود

تمتد الصحراء من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر وشرقاً من جبال الأطلس شمالاً إلى بلدان الساحل جنوباً وتغطي الصحراء الكبرى مساحة حوالي 8 ملايين كلم. أما مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ 1987600 كلم وبذالك تحتل ساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري.

ثانيا : التضاريس

يتميز سطح الصحراء الجزائرية عموماً بالرتابة والاستواء غير أن القسم الشرقي منه يتميز بتعقيد أشد من القسم الغربي، و تبدو مظاهره أكثر تباينا من خلال[1]:

المرتفعات والهضاب: تتجلى هذه المرتفعات في جبال الهقار التي تتميز بتكوينها الجيولوجي القديم ذي الأصل البركاني، وتعتبر قمة تاهات أعلى قمة بالجزائر إلى جانب ذالك توجد مجموعة من الهضاب كهضبة التاسيلي اما الجنوب الغربي فيتمثل في "ربوة القلاب" التي تتكون من تلال يبلغ إرتفاعها 400م كما توجد سلاسل جبلية أخرى بوادي الساورة مثل سلسلة بشار والعبادلة.[2]

أما الهضاب فتحتل الجزء الشمالي من الإقليم بين الأحواض المنخفضة و الجبال المحدبة وتغلب عليها الأشكال السطحية والإرتفاعات المتوسطة أهمها: حمادة الدرعة، أما هضبة تادميت الواقعة شمال عين صالح فتنتمي نحو الجنوب بإنحدار حاد يبلغ إرتفاعه 200م.

السهول: عبارة عن أرض واسعة يشغلها العرق الشرقي الكبير، ويفضلها الرعاة حيث تسمح بتسرب مياه الأمطار الذي يساعد على الرعي.[3]

المنخفضات: فهي تمتد في أجزاء كبيرة من الإقليم الجنوبي الشرقي أهمها منخفض بسكرة وحوض شط ملغيغ (26م) وشط مروانة (35م) تحت مستوى سطح البحر[4].

---

[1] عبد القادر حليمي،: جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، ط 01 ، 1968 ، ص 56

[2] المرجع نفسه، ص 57

[3] المرجع نفسه، ص58

[4] جيلالي صاري: دور البئة في الجزائر ط1، الجزائر 1983 ، ص 18

جيولوجية الصحراء وتكوينها: مرت الصحراء من خلال تكوينها بعدة تطورات بإختلاف العصور والأزمنة الجيولوجية حيث كانت في القديم كتلة صلبة، تتمثل في الرخام والذهب والزنك والحديد والنيكل والرصاص والقصدير.

وتختلف التكونيات التي تغطي سطح الصحراء من مكان إلى آخر يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

الحمادة: هي كتلة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح ومن أهمها في الجزائر حمادة الذراع في الجنوب الغربي من الحدود الجزائرية المغربية، و حمادة القلاب بالحدود الجزائرية الموريتانية، وحمادة تادميت شمال عين صالح.

العرق: وهو سطح تغطيه كثبان رملية متنقلة وأهمها العرق الشرقي الكبير الذي يمتد من وراء الحدود الجزائرية و العرق الغربي الكبير الذي يمتد من بن عباس غرباً إلى هضبة المنيعة شرقاً وعرق الشاش في الجنوب الغربي من الحدود الجزائرية المالية و عرق الجدي بالحدود الجزائرية الموريتانية.

الرق: عبارة عن مناطق واسعة مستوية السطح تغطيها الرمال الخشنة والحصى، أو بعبارة أخرى هو سهل صخري أو حوض منخفض ملأته السيول الجارفة بالرواسب الصخرية.[1]

الأمطار: حددت الأمطار في الشمال وفقا لخط تساوي الأمطار1000ملم وفي الجنوب 150ملم ، ففي الصحراء الشمالية سجل حوالي 140ملم في بسكرة و43 ملم في ورقلة وفي الشمال الغربي للصحراء سجل 67 ملم في بشار و 15ملم في أدرار، وفي الصحراء الوسطى سجل 44 ملم في تمنراست وبصفة عامة، وتعد التساقطات في هذه المناطق جد ضعيفة.[2]

ثالثا: المناخ

كان للوضع الجغرافي إنعكاسا مباشرا على مناخ الصحراء حيث يسودها مناخ قاري قاسي في فصل الصيف خاصة حيث ترتفع درجة الحرارة إلى +50° في الظلّ، وقد تصل إلى نسبة +45° بأدرار وعين صالح كما قد تنخفض في الشتاء إلى درجة الصفر.

[1] المرجع نفسه، ص 20 _ 25
[2] المرجع نفسه، ص 26 _ 27

رابعا: الأودية

الأودية الصحراوية هي التي تجري نحو الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي تصب في بعض الأحيان في الشطوط وأحيانا تختفي وسط الرمال.

الموارد المائية:

تتوفر الصحراء على موارد مائية معتبرة لاسيما الجزء الأكبر من باطنها والأكثر أهمية من الإحتياطات المائية الكامنة في الأحواض الثنائية و الثلاثية الشاسعة والممتدة بين الكتل الجبلية.[1]

وقد وظف الإستعمار الإستيطاني وسيلة الماء في كسب صفوف جزائرية ،من ذلك ماحدث على حفر الآبار في أول ماي 1856 بأمر من علي بن فرحات قائد تقرت وبمساعدة الجنرال ديفو وتحت إدارة المهندس (jus) وتم إستخراج الماء من عمق 68 متر، الأمر الذي ولد فرحة عند السكان.[2]

وقال الفرنسيون أنه باكتشاف الماء تكون البداية قوية لإقامة إدارة فرنسية بالصحراء بدايتها ورقلة ذات الصلة ببسكرة، وستكون ورقلة سوق تجارية هامة للأوروبيون وللعرب، والميزابين والسود واليهود، وكان عدد النخيل بالصحراء من بسكرة إلى ورقلة حوالي 198008 نخلة تنتج ما قيمته 30244470 كلغ، وكان سعر الكلغ بـ 0.35 فرنك وكان محصول الحبوب من شعير وقمح بـ 814820 كغ وعدد المنازل من بسكرة إلى ورقلة في السبعينيات 15690 منزلا، وعدد الآبار 5262 مترا.[3]

بالإضافة إلى المياه السطحية تأتت بفضل مجاري المياه المنحدرة من الأطلس الصحراوي والنظام النهري لكل من الأودية الآتية من وادي جير، ووادي الساورة.

خامسا: الغطاء النباتي

من السمات العامة في المناطق الصحراوية وجود ارتباط بين الملامح المورفولوجية، وبين مكونات التربة ومواد المياه، فالتربة مثلا في الطاسيلي هي من النوع الصحراوي الذي يتميز

[1] عبد القادر حلمي: مرجع سابق، ص 88
[2] المرجع نفسه، ص 89
[3] المرجع نفسه، ص 90

بانخفاض نسبة المواد الطبيعية بصفة عامة وهي نوعان التربة الرملية السطحية، وأراضي التكوينات للكثبان الرملية.[1]

فبالرغم من الظروف القاسية في الصحراء إلا أن هناك نباتات إستطاعت أن تقاوم الجفاف و تعيش في الصحراء و خاصة بطون الأودية أوعلى ضفاف الأنهار الداخلية أو المناطق التي يقترب فيها الماء الجوفي من سطح الأرض ويوجد في الصحراء الجزائرية حوالي 500 نوع من النباتات والتي هي على العموم قصيرة وسميكة، ونباتات المنطقة نذكر النخيل الذي يعتبر ثروة بلاد الجنوب،مردود حياة سكان الواحات فالجنوب الجزائري يحتوي في واحاته على 6 ملايين نخلة مثمرة منها نحو المليون نخلة تنتج التمر المعروف (بدقلة نور).[2]

أما النبتات القصيرة مثل نبات الحلفاء، و الشيح وشوك الجمل، و نبات الحنضل والكداد.

أما عن حيوانات المنطقة ففي الصحراء الجزائرية توجد حيوانات استطاعت التأقلم مع الظروف وطبيعة المنطقة الصحراوية مثل تلك الحيوانات التي تجسدت في رسومات الطاسيلي.[3]

المبحث الثاني: الخصائص البشرية

يتميز سكان الجنوب الجزائري بخصائص إجتماعية تختلف عن خصائص سكان الشمال الجزائري، وأهم ميزة أنه مجتمع قبلي أغلبه رحل، وتتراوح الكثافة السكانية على نحو 1 و 10ن/كلم^2 وهذا نتيجة قساوة المناخ إلا أن نسبة معتبرة من السكان تتزايد في الواحات حيث يكثر النشاط الفلاحي خاصة الزراعية ويتوزع سكان الصحراء الشرقية في الواحات الصحراوية [4]

يتميز سكان الصحراء الجزائرية خصائص تختلف عن المناطق الشمالية مما جعل مناطق نفر للسكان إلا في بعض المناطق مثل الواحات وهذا راجع لعدة عوامل نذكر منها:

- ✓ إن المناطق الصحراوية ذات تربة قاحلة جرداء، والأمطار قليلة .

[1] حميدة اعميراوي واخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1972 ،دار الهدى ،الجزائر ،2009 ،ص 14
[2] المرجع نفسه، ص 17
[3] المرجع نفسه، ص 18
[4] احميدة عميراوي واخرون، مرجع سابق، ص 09

- ✓ العامل التاريخي الذي جعل منها منطقة أسفار لسكان بسبب عدم وجود تشكيلات اجتماعية قوية بها إلا إن بعض المدن الصحراوية مثل ورقلة التي لعبت دوراً بارزاً في أهم الأحداث التاريخية في الجنوب الجزائري.[1]

المبحث الثالث: بدايات الإستكشاف الإستعماري في الصحراء

أولاً: سياسة التوغل الاستعماري.

- **منافذ التوغل للسيطرة:**

كان التوغل الفرنسي إلى مناطق الجنوب عن طريق القوافل والمواصلات القديمة باعتبارها العنصر الأساسي والفعال وهذا بهدف:

1. أنها تسهل عمليات نقل قواتهم العسكرية الغازية، وتوفير ظروف الاستقرار في المركز العسكرية التي أنشاؤها.
2. ربط مستعمراتهم المختلفة ببغضها البعض في الشمال والغرب و الوسط .
3. خدمة التجارة الفرنسية و فتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا بصفة عامة.[2]

وعلى ضوء ما تعرفوا عليه من طرف وما توصلت إليه البعثات الاستكشافات التي كانوا يرسلونها إلى الجنوب، توغلوا الى الصحراء الجزائرية عبر منافذ وطرق رئيسية،قصد أحكام للسيطرة عليها، ومن أهم تلك الطرق نذكر:

طريق أغادير: داكار عابراً كل من تندوف فورجير وأكجوجيت ليتوجه نحو نواكشوط ليصل إلى سنان لويس بالستعال على مسافة طولها 3000كلم

طريق وهران: النيجر الذي تخترق في مساره البالغ أكثر من 2800كلم نحو الجنوب الجزائري كل من بشار كوكب العبادلة أجلي، بني عباس، أدرار،رقان ،ويبدو،وغاو،لينتهي في دولة النيجر.

[1] أنظر الملحق رقم 04

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 ، ط 01 ، سنة 1980، دار البعث قسنطينة ، ص 272

كان هذا التوغل سياسي من أجل إنجاز مشاريع إقتصادية هامة منها منطقة صناعية بكرلومب، وخط مزدوج للسكة الحديدية طوله100كلم يربط العبادلة وكولمب بشار.[1]

طريق مدينة الجزائر: تومبوكتو الذي يتجاوز طوله 3500كلم ويمر على البليدة بوغار، الأغواط ،القليعة، وعين صالح ليصل إلى تمنراست ثم أقار لينتعرض راندار التي تقع بين دولة النيجر ودولة تشاد.

بعد اكتشاف البترول في آبار اجلي و حاسي مسعود هذا الطريق قدم خدمات كبيرة التوغل والتوسع الإستعماري في الصحراء واحتلال أهم المناطق الإستراتيجية لأن هذا الطريق يقع من الشرق إلى الغرب ومن الهقار إلى الأطلس، ومن جانت إلى تندوف عبر ورقلة وفور فلاتر للقليعة، تيميمون وأدرار[2]

الإمكانات الإقتصادية للصحراء:

إن إهتمام فرنسا بالصحراء كان من أجل الإستفادة و السيطرة على مختلف الثروات التي تزخر بها الصحرء من معادن و بترول وغاز طبيعي ضف إلى ذلك الفلاحة الصحراوية المتمثلة في واحات النخيل مثل واحات الزاب و وادي سوف.

فبالرغم من شساعة الصحراء إلا أنها تزخر بإمكانات و قدرات طبيعية واقتصادية هائلة و متنوعة نذكر منها:[3]

المعادن:

تم إكتشاف خزنات معدنية هائلة و متنوعة في مناطق مختلفة من الصحراء وهي على النحو التالي:

- ✓منطقة بشار كولومب تتوفر هذه المنطقة المحصورة في أقصى الركن الشمالي الغربي للصحراء مع الحدود المغربية على ثروة معدنية ضخمة وذات بعد عالمي منها:

1. مناجم للفحم الحجري بالعبادلة.
2. مناجم الحديد بالعبادلة.

[1] احميدة عميراوي واخرون، مرجع سابق، ص 17

[2] أحميدة عميراوي واخرون، ص 18

– [3] MAX MAREhand: History abrègèe de algèrie part sharah a MARS 1957. P 10 _ 11

3. مناجم المنغنيز و النحاس بجبل بوعرفة.

4. مناجم الرصاص بالرب من مفيس MIFIS [1]

البترول:

أعطى الفرنسيون للصحراء أهمية كبرى بعد إكتشاف المعادن خاصة البترول والغاز، ومن أهم آبار البترول حاسي مسعود جنوب ورقلة ثم آبار ايجلي èedjel وتيقنتورين و فور فلاتر forflatters نحو الحدود الليبية.[2]

الفلاحة الصحراوية:

يوجد في الصحراء الجزائرية محيطات زراعية هامة تشتهر بواحات النخيل كواحات الزاب الشرقي و الغربي و وادي سوف، بالإضافة إلى بعض السهول الخصبة ذات الزراعات المتنوعة مثل سهل العبادلة ببشار و سهل أدرار و سهل تمنراست.

ثانيا: مشاريع الخطوط الحديدية العابرة للصحراء

ظهرت هذه الفكرة على غرار الخطوط العابرة للقارات كالخط العابر لكندا والذي أنجز ما بين (1878. 1886) على ساقه أربعة آلاف وسبعمائة كيلومتر من الخطوط، وعلى ضوء هذه المشاريع السابقة تبلورت فكرة إنشاء خطوط عابرة للصحراء وتعود فكرة مشروع السكة الحديدية للصحراء إلى المهندس دوبونشال (DEBONCHEL) الذي قدم الدراسات الأولى منذ 1874، أشار فيها إلى أن فتح هذا الخط يسمح لفرنسا والجزائر بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها وكذا منافسة خط إنجلترا من الرأس (الكاب) إلى القاهرة، انتقل دي بونشال إلى الجزائر لجمع المعلومات عن الصحراء والسودان وينشرها في كتاب سنة 1878، لهذا اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع، وبدأت في وضع برامج قصد تسهيل إنجاز مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء.[3]

[1] عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص 16

[2] احميدة عميراوي واخرون، مرجع سابق، ص 26

[3] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 ــ 1934) ط 01، دار هومة، سنة 2005، ص 437 ــ 438

و بعد تكوين لجنة لمعرفة أرضية المشروع قدم وزير الإشغال العمومية دي فرايسنييه تقرير يوم 12 جويلية 1879. قصد لفت إنتباه رئيس الجمهورية لتمكين فرنسا من التوغل للصحراء الجزائرية.

وتعتبر سياسة الخط الحديدي من اولويات السياسة الفرنسية في الجزائر عامة للصحراء خاصة قصد اقامة طرق ووسائل اتصال سريعة وهذا لتطوير واستجابة حاجيات المستعمر المدنية والعسكرية، باعتبار الجزائر حجر الزاوية لكل السياسات الفرنسية بأفريقيا فكرت في ربط الجزائر بأفريقيا عن طريق السكة الحديدية، لانها تمثل الوسائل والإمكانيات الفعالة للتوسع الاستعماري داخل القارة[1].

فبعد تنفيذ مشاريع السكة الحديدية بشمال الجزائر والذي انطلق منذ سنة 1844م بمد شبكة ذات طابع محلي جاء المشروع الكامل بعد حوالي عشرة سنوات قدمته شركة ماك كارتي، سربولي، والمعروف ايضا تحت اسم مشروع فارنييه (warnier) والمتمثل في الخط المركزي الكبيروالذي يربط مدينة وهران بمدينة قسنطينة عبر مدينة الجزائر، اما برنامج الخطوط الكبرى لهذا لبمشروع فقد استانف بعد ثلاث سنوات ،ضمن مرسوم افريل 1857م والذي يقرر انشاء الف واربعمائة كيلومتر من الخطوط الحديدية، يتضمن خط مركزي من الشرق الى الغرب على امتداد الشريط الساحلي، الذي هو بمثابة العمود الفقري للخطوط الفرعية ،والتي تمتد نحو الهضاب والداخل لتربط المناطق المنجمية بالموانى ، وقد تم إنجاز هذا المشروع تدريجيا وحسب الحاجة كما أن برنامج أفريل 1857م يحتوي أيضا على منعطفات الى تليلات نحو سيدي بلعباس و تلمسان، والخطوط من قسنطينة. سكيكدة وبجاية، سطيف وتنس الأصنام ومستغانم تيارت وأرزيو سعيدة وعنابة وقالمة[2]. نذكر أهم الخطوط التي تم إنجازها:

الخط الأول يمتد من مدينة قسنطينة الى ورقلة عبر بسكرة و توقرت.

الخط الثاني من مدينة البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

الخط الثالث يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة و بشار[3].

وبفضل هذه الخطوط كانت طموحات فرنسا للتوسع إلى بلدان الصحراء وغرب إفريقيا و وسطها لتصل بشبكة النيجر عبر تمبكتو وشبكة السنيغال و موريطانيا، و لكن إرتفاع التكاليف المالية

[1] ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 272

[2] أنظر في الملحق رقم 05

[3] MAX MAREhand: History abrègèe de algèrie part sharah A MARS 1957; P 272

و وعورة الطبيعة و قساوة مناخها، واتساع نطاق المقاومة الجزائرية حال دون تحقيق ما آلت إليه.[1]

ثالثا: شبكة المدن و الواحات الصحراوية

ان إتساع الصحراء الجزائرية جعلها مهيكلة بشبكة من المدن و المراكز و الواحات ذات الأهلية الإستراتيجية القصوى بالنسبة للإستعمار الفرنسي للتوغل وإحكام السيطرة التامة.

هذه الشبكة من مدن وواحات تعتبر عواصم لأقاليم طبيعية كالزيبان وبني مزاب وادي سوف والساورة والهقار وهي مدن آهلة بالسكان تتفاوت مابين 1500. 40000 نسمة،من أهم هذه المدن:

- **مدينة بسكرة:** وهي بوابة الجنوب الوسيطي نحو الصحراء المنخفضة وعاصمة الزيبان تعد من أهم المدن الصحراوية.
- **مدينة الوادي:** تبعد بـ 100كلم عن الحدود الجزائرية التونسية وتشتهر باسم مدينة الالف قبة عدد سكانها في حدود 20000 نسمة.[2]
- **مدينة الجلفة والأغواط:** عبارة عن أبواب أساسية للجزائر الوسطى نحو الصحراء ومراكز استعمارية صحراوية هامة في التوغل نحو الجنوب الجزائري.
- **مدينة غرداية:** عاصمة المزاب تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600كلم وهي حاضرة هامة آهلة بالسكان يبلغ عددهم حوالي 15000. 20000كلم.
- **مدينة توقرت:** عاصمة طبيعية لمنطقة وادي قير وهي الأكثر سكان في الصحراء 40000 نسمة.
- **مدينة كولومب:** سميت كذالك من طرف العالم JANNART سنة 1903، وما زاد أهميتها اكتشاف مناجم معدنية ذات احتياطات عالمية تتمثل في الحديد و النحاس والفوسفات و الرصاص.[3]

[1] MAX MAREhand,OPIT :272
[2] MAX MAREhand,OPIT :09
[3] MAX MAREhand,OPIT :P10 _ 11

خاتمة الفصل:

ونخلص ان إقليم الصحراء من حيث الإمكانات الطبيعية و الجغرافية والحضاري هذا كله جعلها محط انظار الاستعمار الفرنسي بكل ابجدياتها وحاول الالمام بها كي يساعده على الاخضاع وهو ما مهدت له البعثات الاستكشافية والتنصيرية وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

مرحلة الإستكشاف:

عرف الأوروبيون الصحراء الإفريقية،بما فيها الصحراء الجزائرية نهاية القرن الثامن عشر ميلادي ،ذلك ان الصحراء الافريقية بقيت طيلة قرون عديدة مجهولة لديهم، ولم يقدم الرحالة القدماء للإغريق الرومان إلا معلومات ضئيلة ومحدودة.

وأول من تعرف عليها هم الرحالة العرب المسلمين الذين ذكروا معالمها وظروفها السياسية والحضارية في كتبهم امثال ابن "نوفل" "البكري" وذلك خلال القرن الثاني عشر[1]، لذلك قرر وضع برنامج لاستكشاف الصحراء الكبرى والتوغل داخل القارة، حيث تمكنت الجمعية الافريقية 1788 من تشجيع البعثات الاستكشافية قصد استكشاف داخل قارة افريقيا خاصة الصحراء الكبرى، والبحث عن منبع نهر النيجر، وقد اعلنت عن هذه الاهداف في مؤتمرها الاول في نايل السبت بلندن يوم 09 يونيو 1788، وقد عينت لجنة من رجال اضافة الى رجال الدين الأسقف "لانداف" «LANDAF¦» مهمتها البحث عن مغامرين لاستكشاف الصحراء الكبرى ودعمهم وتحفيزهم[2].

ومنذ احتلال فرنسا للجرائر وهي تسعى للتوغل داخل الصحراء الكبرى وربط الجزائر بالسودان الغربي وأمام هذا التنافس الاستعماري استطاعت الحكومتان الفرنسية والانجليزية إبرام معاهدة تضمن ان تكون الصحراء الكبرى والسودان الغربي من نصيب فرنسا،وقعت معاهدة موقفة بتاريخ 05 اوت 1890[3]

بعد استكشاف الصحراء واحتلالها،استعملت طرق عدة من اجل التغلغل الى الصحراء، عن طريق النشاط التبشيري،وذلك عندما قامت جمعية الآباء البيض بتأسيس مراكزها على حواف الجنوب الجزائري مثل بسكرة و الاغواط[4]، كما استمر النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء الدول الأوروبية فعزمت على غزو الصحراء واستعمارها فاهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية، وتتبع منابع الأنهار الإفريقية، كالنيل والنيجر وغامبيا، وتكونت بذلك جمعيات

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، ص 395 .
[2] هواردس ، أشهر الرحلات في غرب إفريقيا ، الشيخ عبد الرحمان عبد الله ج1 ، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1995 م، ص63
[3] إسماعيل لاويس ، بوبكر وافي، التوغل الاستعماري في اقليمي آهقار وأزقر 1881 - 1920 مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر التاريخ الحديث والمعاصر (2012 - 2013) ص 25
[4]، ابراهيم لونيسي: أهمية الصحراء في استراتيجية الاستعمار الفرنسي ، جامعة الجزائر، ص 127

جغرافيـــــة وعلميـــــة تكفلـــــت بإرســـــال البعثـــــات الاستكشـــــافية والتنصـــــرية[1]. وهذا ما سندرسه في هذا الفصل إذ نحاول الإجابة عن الاسئلة التالية:

- إلـى أي مـدى سـاعدت البعثـات الاستكشـافية والتنصـرية والجمعيـات الجغرافيـة فـي زيـادة الاهتمام الاوربـي بالصـحراء؟ وكيـف استطاعت فرنسـا تجسـيد تلك المعلومـة التـي قدمتها للمستكشفين؟ وما درجة أهمية تلك المعلومات؟

[1] ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ص 398 .

المبحث الأول: ظهور البعثات الاستكشافية

تعتبر الرحلات التي قام بها المستكشفون ذات طابع استعماري بالدرجة الاولى، رغم اختلاف الطابع الغالب عليها، لذلك قضا بتقسيمها إلى رحلات ذات طابع علمي وجغرافي، ثم رحلات غلب عليها الطابع السياسي، والرحلات التي غلب عليها الطابع الاقتصادي مادي.

I-البعثات الاستكشافية ذات الطابع العلمي والجغرافي:

1-**رحلة روني كاييه:** (RENE CAILLE) يعتبر روني من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا في اعماق الصحراء الكبرى،واستطاع التوغل فيها حتى وصل الى السنغال 1829 وكان ذلك بعد محاولتين فشل فيهما 1816-1818[1].

شرع روني في رحلته الى تومبوكتو سنة 1827 مدعيا لدى القبائل التي يمر بها انه مصري وانه تربى في فرنسا منذ صغره،وفي 11 مارس 1828 وصل هذا المستكشف الى نهر النيجر ثم دخل مدينة تومبوكتو في 20 افريل 1828 ،وبذلك فهو يعتبر اول اوربي يعود بوصف دقيق لهذه المدينة ومنها عاد عبر الصحراء إلى مدينة طنجة مر بمنطقة توات وتافيلات التي وصل اليها في شهر جويلية وفي 14 اوت دخل مدينة فاس.[2] سجل روني[3] ملاحظات وانجز رسوما قيمة اثناء رحلته وبذلك فقد قدم الى فرنسا والمصالح المختصة بالتوسع الاستعماري معلومات جغرافية وحضارية هامة على هذه المناطق والتي ساعدتها فيما عملية الغزو الفرنسي للجنوب الجزائري، وللتوسع في الصحراء الإفريقية وكشف اسرار هذه الأصقاع[4].

2- **النقيب بومان:** BONNEMAIN قام هذا النقيب سنة 1856 برحلة الى غدامس عبر الطريق الرابط بين الوادي وغدامس ووضع رسما لطريقين جغرافيين يربطان بينهما كما وضع مخططا للمدينة وجلب الكثير من المعلومات ذات الطابع التجاري[5]

3- **هنري بارث** : رحالة انجليزي استفاد الاستعمار الفرنسي من معلوماته وقد رافقه في رحلته "جيمس ريتشارديسون" JAMES RICHAR DSON " واوفروانغ "VERWEG" اتجه نحو

---

[1] ابراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، مرجع سابق، ص 463 - 464

[2] عبد القادر بوباية ، دور الرحالة والمستكشفون في عملية التوسع في الصحراء الجزائرية، مقال منشور في مجلة العصور الجديدة، العدد 6، عدد خاص بخمسينية الاستقلال سنة 2012 ص 19

[3] روني كاييه ، هو ابن خباز فرنسي كان مولعا منذ صغره بقراءة الأخبار والرحلات والاسفار، ونظرا سافر وكانت رحلته الاولى ال افريقيا على متن سفينة بصفته خادما سنة1818 ، أنظر اسماعيل لاويس ووافي بوبكر: التوغل الإستعماري الفرنسي في اقليمي أهقار وآزجر (1881 _ 1920) مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر 2012 _ 2013، ص 26

[4] عبد القادر بوباية، المرجع نفسه، ص 22

[5] ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 407

طرابلس يوم 24 مارس 1850 من اجل الوصول الى نهر النيجر فوصلوها بعد مدة ثم انحدر جنوبا نحو بحيرة يولا "YOULA" ومنها قام بالدوران حول البحيرة وذلك في دائرة بقدر شعاعها في بعض الاماكن بـ 300 كلم، وقبل دخول فصل الشتاء اتجه بارث نحو الغرب فوصل الى كاسينا، ثم دخل بعد ذلك الى مدينة كوكو ومنها تمبكتوا في شهر سبتمبر 1853، ومكث بها مدة ثمانية أشهر، ثم غادرها راجعا إلى طرابلس عن طريق غيرة باتجاه الشمال إلى أن وصل إلى مدينة ساي ثم أخذ الطريق الذي سلكه في الذهاب إلى كوكا، ومنها إلى طرابلس التي وصلها 28 أوت 1855 ليعود إلى لندن يوم 6 سبتمبر 1855.

هكذا استطاع بارث أن يقدم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء وتشاد حيث نجح في الجغرافية والجيولوجية وحتى التاريخية للسكان وقدم إسهامات من خلال ربط العلاقات التجارية بين أوربا، فند الأكذوبة القائلة بأن بحيرة تشاد منبع نهر النيجر وأكد أن بحيرة تشاد مستقلة عن النهر. وبذالك يعتبر "بارث" من أكبر المكتشفين العالميين في القارة السمراء و قبل وفاته بقليل من عام 1856 كتب مقالا في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس حث فيها فرنسا على القيام بعمل جبار و واسع في الصحراء الإفريقية، وحثها على أن تستحوذ على هذه المناطق و تربطها بالجزائر، وأن تفهم عقلية سكان هته المناطق وتحترم معتقداتهم خاصة الدين الإسلامي وقال: "على فرنسا أن تحسن إختيار روادها، وأن تحمل السيف والبندقية في يد، والكتاب والقلم في يد أخرى، وبذالك يمكن لها أن تتحصل على نتائج باهرة في هذا الميدان"[1]

جيرهارد روهلفس: gerhard rohlfs في بداية الستينات من القرن التاسع عشر، عرفت الصحراء الكبرى رحالة من أصل ألماني يحمل جنسية فرنسية كان جنديا في حرس الحدود بالشرق الجزائري وإستطاع الوصول إلى الصحراء الجزائرية رغم أنه مر بظروف مالية عصيبة إنطلاقا من المغرب الأقصى، واتخذ بعض الإحتياطات ليظهر إسلامه مثل ختانه لنفسه وحلق رأسه إلا أنه أسر في مدينة نافيلالت غير أن الختان الذي أجراه لنفيه شفع فأخلو سبيله الا ان غدر به، لكن هذا لم يمنعه من مواصلة رحلته في اتجاه البحر الأبيض المتوسط عبر جنوب وهران رغم فشل هذه الرحلة قرر روهلفس القيام برحلة برحلة جديدة إلى تمبكتو عن طريق

[1] حسن مرموري، التوارق بين الصلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، ط 01 منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2010 ص 215

الصحراء الجزائرية، ولاكن ثورة أولاد سيدي الشيخ منعته من ذالك و عندئذ قرر أن يسلك طريقا آخر انطلاقا من المغرب الأقصى.[1]

عاد روهلفس[2] إلى تافيلالت ودرس بعنابة مجموعة الواحات المغربية والجزائرية المناخية، وكانت رحلته رفقة ثلاث من الأهالى إلى توات ثم اقبلي ثم بني عباس ثم أدرار ثم عرج إلى الشرق وفي 17 سبتمبر 1864 وصل إلى عين صالح، و كان وصفه لهذه المدينة الوصف الوحيد الذي وصل إلى العالم قبل إحتلال الفرنسيين لها نهاية القرن التاسع عشر، لقد نجح روهلفس إختراق الصحراء من المغرب الأقصى حتى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية.[3]

بول صولية poul solillet : شرع في تحضير رحلته منذ سنة 1866 وذالك من خلال التعرف على عادات وتقاليد سكان الجزائر كما درس كتب التاريخ والجغرافيا والكتابات الإقتصادية حول إفريقيا.

غادر مرسيليا في 6 ديسمبر 1872 متجها إلى الجزائر، وبعد إنهاء الاستعدادات بدأ رحلته نحو عين صالح فرارا من الأغوط ثم دخل متليلي التي غادرها في 1875/02/14 بدأ كما يقول رحلته الاستكشافية الحقيقة من المنيعة إلى عين صالح وكانت بعثته تتكون من 26 فردا وعشر جمال وثلاث خيول وفي 23

فيفري 1873 وصل إلى المنيعة وفي 06 مارس 1873 وصل إلى مشارف عين صالح التي رفض أصحاب أن يفتحوا الأبواب للبعثة مما اضطر صولييه إلى العودة من حيث أتى ومع ذلك فقدم معلومات هامة في كتابه حول هضبة تادمايت وما جاورها و التي إستفادت منها سلطات الإستعمار في توسعها نحو الجنوب.[4]

---

[1] أحميدة عميراوي واخرون، مرجع سابق ص 69.

[2] **جيرهارد روهلفس**: ولد في 14 أفريل 1831 في بلدة قريبة من كان أبوه طبيبا، لم يسر مسار ابيه بل توجها تطوعا في جيش بريمن بعد تخرجه من الثانوية عخام 1844، شارك في عدة مواجهات بين فرنسا والجزائر مابين 1856 - 1857الى ان وصل الى رتبة رقيب في الجيش الفرنسي، ثم توجه الى المغرب اين تعلم اللغة العربية، ضف الى ذالك اطلع على عادات و تقاليد المسلمين قصد التوسع اكثر، انظر **جيرهارد روهلفس** عبر افريقيا رحلة من البحر الابيض المتوسط الى بحيرة تشاد خليج غينيا تر: عماد الدين غانم ج01 ، ط01، مركز الدراسات والبحوث الافريقية، سبها، 1974، ص 18 _ 19

[3] ، عبد القادر بوباية، مرجع سابق، ص 25

[4] ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881 - 1912 منشورات متحف المجاهد ـالجزائر- 1996م ص59- 60

إروين باري[1] (eruin bary): طبيب ألماني اهتم بإفريقيا خاصة الصحراء الإفريقية الكبرى، تعلم اللغة العربية وتكر في صورة طبيب تركي مسلم انطلقت رحلته سنة 1877 توغل في سلسلة جبال إير وجنوب آهقار، كان أول من توغل في تاسيلي ازجر إلى وادي " امهرو" ليعود بعد ذالك الى غات ومنها يتجه نحو آير الذي وصل إليه في 17 فيفري 1788 ومكث بها إلى غاية 8 جويلية من نفس السنة[2]، وتوفي بمدينة غات خلال رحلته وذلك عام 1877.[3]
وأهم المعلومات التي قدمها إيروين باري للابحاث الصحراوية هي إكتشافه لأثار حديثة للتماسيح

ثانيا: البعثات التي غلب عليها الطابع السياسي

هنري دوفريه[4]: "duveryier" قام برحلة تمهيدية سنة 1857 زار خلالها الهضاب العليا والأغواط و الجانب الصحراوي من الأوراس و الأغواط تعرف باحد رجال التوارق وبعد عودته نشر دراسته عن القبائل البرية في نفس السنة قابل المستكشف هنري بارك الذي قدم له كثيرا من النصائح والتعليمات التي تفيده في سفره.

قام برحلة استكشافية فقام بالإطلاع على كثير من الكتب واستشار عدد كبير من المتخصصين الأوربيين في شؤون الصحراء ،كما تعلم طرق تحديد المواقع كما زار المتاحف أين استطاع جمع معلوماته في الجيولوجيا وفي علم الطبيعة وحصل على معلومات عن السلالات الصحراوية،وبعد سنة من التحضير سافر الى الجزائر وذلك سنة 1859 ومنها اتجه الى بسكرة (8 ماي 1859) ثم غرداية ومنها الى"القليعة" التي لم تكن قد وطأتها قدم أوربي قبله، قام دوفري ببعض العمليات الفلكية وذلك في ظروف قاسية نظرا لاستياء الأهالي من وجوده رغم أنه كان يرتدي ثياب سكان المنطقة، وهذا الأمر اضطره إلى العودة من جديد، ثم قام برحلة أخرى في جنوب قسنطينة وتونس.

---

[1] **ايروين باري**: من مواليد المانيا 1846، اهتم بدراسته للعلوم الطبيعية في جامعة زوريخ وميونيخ، حين تحصل سنة 1869 على دكتوراه في الطب وتمكن من تعلم اللغة العربية، وتماهق... انظر **حسن مرموري**: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ،ط1 ،منشورة المجلس الاعلى للغة العربية الجزائر، 2010، ص231

[2] حسن مرموري، مرجع سابق، ص 230 - 231

[3] يحي بوعزيز، ثورة الجزائر في القرنين 19 و 20، ج1 توارت القرن 19، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، سنة 1996، ص 315

[4] **هنري دوفريه**: من مواليد 28 فيفري 1840 تربى في صغره تربية دينية، ثم ارتاد الجامعة لدراسة التجارة ن ونظرا لاستكشافه للصحراء الجزائرية تعلم اللغة العربية على يد المستشرق فليشر، أنظر **حسن مرموري**، مرجع سابق، ص 224

وفي رحلته إلى التوارق قام بأبحاث مستفيضة في كل مكان مر به عن السكان ولتحديد موقعه الجغرافي والتعرف عن النباتات والمعادن التي تصادفه في طريقه.[1]

قام برحلة أخرى كان خط سيره طرابلس،غدامس، بدعم من نابليون الثالث نفسه وبمساعدة كبيرة من شخصين من التوارق أحدهما الأمنوكال وقيل "الأمين وكال" أخنوخن والثاني الشيخ "كتمان البكري" الذي كان دليل " الميجورلانج " ووصل دوفيريه رفقة عثمان الى غدامس في أوت سنة 1860 ووصلته منحة حكومية مقدارها 2000 فرنك فرنسي وعلى أثرها توجه إلى غدامس ثم إلى غات.[2]

لما وصل غات إستقبل بعداء شديد من طرف سكانها خوفا من نواياه الحقيقية المتمثلة في بسط السيطرة الفرنسية على المنطقة والتحكم في تجارتها، في حين رحبوا به واستفاد من التقرب منهم حيث تعلم لغتهم، وأصبح يحضر معهم اجتماعات القبيلة في نفس الوقت كان يقوم بتسجيل ملاحظاته، ثم عاد إلى الجزائر وطلب منه الوالى تقديم تقريرا مفصلا مزودا بخريطة عن رحلته، وبعد أن أنجز عمله مرض بحمى التفؤيد، وبعد ثلاثة أشهر أصيب بفقدان للذاكرة، ومع ذالك فإن المذكرات والملاحظات التي سجلها كتبت بعناية ودقة، وبد ثلاث سنوات نشر كتابه القيم عن التوارق تحت عنوان "**توارق الشمال**" وهو عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة التوارق والشماليين كما تتضمن الجغرافيا الطبيعية وموارد الماء كما تشمل ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات والطقوس الدينية، وأخلاق التوارق وعاداتهم وتقاليبدهم.[3]

ومن أهم نتائج البعثات الاستكشافية ذات الطابع السياسي نجد مهمة غدامس 1862 فيها قامت فرنسا بإقامة علاقات ودية مع زعماء التوارق، فعملت على إقامة معاهدة معهم من خلال استدعاء الشيخ عثمان البكري لزيارة العاصمة خلال حكم "الماريشال راندون" ثم دعوه مرة أخرى إلى باريس قصد التوسط لهم عند الزعيم "أخنوخن" لكن الدهاء والحنكة التي تمتع بها التوارق لذا اشترطوا أن تعقد في غدامس وعلى إثر هذا جهزت فرنسا بعثة عالية المستوى للقاء الزعماء التوارق، وتكونت البعثة من:

- ميشار (mirchrd) قائد سرية الأركان.
- ديبولينياك (dibolinyak) نقيب الأركان ومنتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية.

[1] اسماعيل عربي، الصحراء الكبرى وشواطؤها، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 83 - 87
[2] عبد القادر بوباية ، مرجع سابق ص 23ـــ 24
[3] عبد القادر بوباية، مرجع سابق، ص 24

- ديفانون (defanon) مهندس بالمناجم.
- هوفمان (hovemoun) طبيب عسكري.

وصلت البعثة إلى غدامس في 21 أكتوبر، واجتمع الوفدين يوم 24 نوفمبر 1862 بغدامس أما وفد التوارق فيضم[1] الحاج "جابور" رئيس قبيلة "آمانغازاتن" والشيخ عثمان الزعيم الديني، ومرابط تيماسنين لقبيلة إيفوقاسن، وعمار الحاج أخ إخنوخن ونائب عنه وبعد محادثات طويلة وقعت معاهدة بين الطرفينومن أهم بنودها:

- ✓ إقرار الصداقة والتبادل المشترك لتحسين النوايا بين السلطات الفرنسية وفروع قبائل التوارق.
- ✓ تمكين التوارق أن يمارسوا تجارتهم بكل حرية لبضائعهم، وبضائع السودان، داخل الأسواق الجزائرية.
- ✓ يقوم التوارق بتسهيل حماية التجار المفاوضين الفرنسيين والأهالي الجزائريين المارين عبر مواطنهم باتجاه السودان ذهابا وإيابا.
- ✓ تلتزم الولاية العامة للجزائر وزعماء التوارق بتحديد الطرق التجارية المريحة، وفتح السبل للتجارة الفرنسية إلى السودان لإثبات حسن النوايا نحو مواطن التوارق.[2]

وبعد الموافقة على هذه بين الطرفين، إحتفظ كل واحد منهما بنسخة مكتوبة بالعربية والفرنسية، ثم ألحقت ذه المعاهدة ببنود إضافية، خاصة بقبائل أزجر ومما جاء فيها مايلي:

- ✓ طبقا للتقاليد القديمة للعلاقات التجارية بين دول شمال إفريقيا ومختلف عشائر التوارق فإن عائلة الشيخ إخنوخن تبقى هي المكلفة بضمان آمن كل القوافل الآتية من الجزائر، والمارة عبر بلاد ازجر.
- ✓ من أجل هذه الضمانات على القوافل الفرنسية أو الجزائرية تدفع ضريبة للشيخ إيخنوخن.

[1] اسماعيل لاويس، بوبكر وافي ، مرجع سابق، ص 32
[2] ابراهيم مياسي،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزئرية، 1834- 1837 مرجع سابق، ص 415

- ✓ تسوى الخلافات التي قد تحدث مابين المتعاملين والوسطاء التوارق بالرد من ممثل القبيلة.
- ✓ يلتزم الشيخ الحاج إخنوخن والقادة السياسيون الآخرون لتوارق آزجر عند عودتهم من غات بربط علاقات طيبة مع قادة قبيلة كلوي، قصد تهيئة الظروف الحسنة لإستقبال المفوضين الجزائريين والفرنسيين.[1]

إسماعيل بوضربة: هو إبن حميد بوضربة ولد بمرسيليا 15 جانفي 1823، درس بها وانخرط بالجيش الفرنسي، وفي سنة 1853 شارك في حملة فرنسا على متليلي وورقلة، ووادي سوف وتوقرت، حيث بدأ بمهمة إستكشاف في إقليم آزجر وآهقار 1858، حيث كانت مهمته سياسية بأمر من الحاكم العام الفرنسي للجزائر الذي إختاره بحكم أنه ضابط مسلم عربي.

غادر بوضربة الأغواط يوم 01 أوت 1858 حيث انتحل صفة تاجر وصل تيماسين 06 سبتمبر ومنها عبر واد اغرغر ومر على إليزي، أما غات فوصلها 26 سبتمبر من نفس العام، قاطعا بذلك 1396كلم، ولم يرغب فيه التوارق رغم إدعائه أنه ضابط مسلم عربي، الا انهم اعتبروه خائن، وهناك التقى بزعيم إيفوقاس عثمان البكري، ثم عاد إلى الأغواط في 10 أكتوبر 1858م.

إن إسماعيل بوضربة اتضح من خلال رحلته الاستكشافية من غرضه كان سياسيا من اتفاقية توارق أزجر، أما من الناحية الجغرافية فقد استطاع اكتشاف طريق جديد نحو غات.[2]

ثالثا: **البعثات الاستكشافية ذات الطابع الاقتصادي .**

بعثتي العقيد فلاترز 1881- 1980

قام بهذه الرحلة من طرف الأشغال العمومية دوفريسني Defrecine حيث كلفه بالقيام بعملية استكشافية لطريق صحراوي من الجزائر إلى النيجر وتشاد 1880 عقدت البعثة أول اجتماع لها ببسكرة وضمت بالإضافة إلى قائد الحملة فلاترز ضابطين برتبة نقيبين وضابطين برتبة ملازم ثاني.

[1] ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 416
[2] حسن مرموري، مرجع سابق، ص 221 _ 222

إنطلقت البعثة من ورقلة مارس 1880 حيث اكتشفت إقليم العرق ووادي ايغرغر ووضعت خريطة لقسم كبير من بلاد التوارق أزجر، لكن من مقاومة التوارق لهم اضطرتهم إلى التراجع 11ماي1880.

قامت البعثة برحلة ثانية حيث عبرت الهضاب والتلال في 15 جانفي 1881 وعبرت هضبة تادميتت، وعين أنزيمان إلى سبخة امدقثبور، ثم اتجهت إلى تماسنين، لكن التوارق قاموا بقتل فلاترز ورفاقه عند وصولهم إلى بئر الغرامة يوم 16 فيفري 1881.[1]

فورلامي Vourau famy: كان فرنسي الأصل جندي في القوات الفرنسية بقسنطينة وقد شرع في حملاته واستطلاعاته نحو بلاد التوارق منذ عام 1876 وقام بثمان رحلات من 1897- 1898 بأمر من وزارة الأشغال العامة حيث حاول عام 1897 أن يصل إلى" اير" أهقار ولكن التوارق قاموا بهذه فتخوف أن تكون معبرة مثل فلاترز فعاود إدراجه.[2]

أما الحملة الثانية 5مارس 1898 جند فيها 296 عسكري و1000 جمل ،برمجتها الإدارة الفرنسية على أمل أن تلتقي بحملتي أنروين الأولى من السنغال والأخرى من الكنغوا وبحيرة تشاد.

غادرت الحملة سدراته قرب ورقلة يوم 16أكتوبر1998 ووصلت إلى زندر بالنيجر في نوفمبر 1899 تكبدت خسائر من طرف الاهالي مما إضطرهما للعودة أواخر ديسمبر واصطدمت بمقاومة طوارق ازجر جانفي 1900، لكنها نجحت في الوصول إلى بحيرة تشاد في شهر فيفري أين التقى بحملة جنتل وجولاند.

عند التحمت الحملات الثلاثة قامت بأعمال الإبادة في سكان شمال شرق النيجر، إلا أن تحتل من طرق مقاومته لسكان التعود الحملة بادرجها إلى الجزائر 8 أكتوبر1900.[3]

المبحث الثاني ظهور الجمعيات.

لعبت التجارة دور كبيرا في ربط العلاقات الودية بين هذه الممالك وسكان جنوب المغرب العربي ، لذلك استهوى هذه النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء الدول الأوروبية ،فعزمت على غزو الصحراء واستعمارها ، فاهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع منابع

[1] بمولود فرتوني: الاطماع الاوربية في الصحراء وسياسته في الهقار، مقال يوم الأحد 03/30/ 2014 على الساعة 11:58
[2] يحي بوعزيز، مع التاريخ الجزائرف الملتقيات الوطنية والدولية، ط1 ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 86 - 87
[3] بمولود فرتوني مرجع سابق.

الانهار الافريقية كالنيل والنيجر وغامبيا وغيرها ، وتكونت لهذا الغرض عدة جمعيات جغرافية وعلمية تكفلت بارسال البعثات الاستكشافية ، وتحملت نفقات هذه الرحلات .

نذكر من هذه الجمعيات على سبيل المثال :"الجمعية الإفريقية (the africain association) التي تأسست عام 1788م ، وقامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين وهو "هون مان :(Horn–men) الألماني و "لوكاس" (و luckas) "ليد بارد "((lyd bard في الرحلات متتابعة تحت رعايته ولكنهم ماتو جميعا ، اما بسبب الامراض او قتلوا فتجهت الانظار بعد ذلك الى نهر غامبيا للشروع في ارسال البعثات من هذه الناحية لان البريطانين قد اسسوا بها بعض المراكز التجارية[1]

كذلك ارسل الميجر"هيوتون "الذي كان قنصلا في مراكش في رحلته سنة 1790م في مصب نهر غامبيا وتوغل نحو الداخل ثم انقطعت اخباره الى الابد ،لذلك وقع اختيار الجميع على الرحالة الاسكتلاندي "مونغو بارك" (mongo park) الذي كان يعمل طبيبا وكانت المهمة المكلف بها في هذه الرحلة هو التعرف على مجرى نهر النيجر وتتبعه الى مصبه.[2]

وفي اعوام 1797م قام مونقوبارك (mungo park) برحلة الى السودان من بيزانيا في قامبيا بغرب افريقيا. ووصل الى باماكو ،واعالي نهر النيجر واذنت جمعية دواخل افريقيا للالماني"هورنمان"(hornnemain) للقيام برحلة الى النيجر انطلاقا من مصرفاتجه عام 1798م من القاهرة الى واحة سيوه ، ومرزق ، ثم عاد الى طرابلس ، وانطلق من هناك مرة ثانية الى اطراف النيجر عام 1800م، وتوفي في تمبوكتو ، وخلال حروب نابليون الاول في اروبا، اهتم الاروبيون اكثر باستكشاف افريقيا وغزوها ، فعاد مونقو بارك مرة اخرى الى النيجر عام 1805م وهلك هو ورفيقه في العام التالي قرب برنوح (بوروج) بسبب مقاومة سكان اوليمندن لهما فقام بعدهما الالماني رونتجن (roentgen) برحلة الى المغرب الاقصى الى الصحراء تقتل هو الاخر غي بلاد حاحة خلال شهر جويلية 1809م[3]

وفي عام 1818م كلفت الحكومة البريطانية جوزيف ريتشي (joseph ritchie) احد كتاب قنصليتها بباريس بان ذيتجه من طرابلس الى السودان فصحبه ضابط البحرية الكابيتان

[1] ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_ 1934م ، دار هومه ، 2012، ص.399.

[2] ELIKA M'bokoto, des missionaries aux éxplorateurs, les eur opéens en afrique paris, dan frank ,1978,p.51.

[3] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط03، 1999، ص63

ليون (lion) وغادر طرابلس في مارس 1819م ،الى مرزاق وهلك في الطريق فعاد ليون الى طرابلس ، وتالفت بعثة اخرى لمواصلة طريقها كان من بين اعضائها الطبيب اودنيكس (oudnex) وضابط البحرية كلابرتون (clapperton) وضابط الجيش البري الكابيتان دنهان(denhan).[1]

وغادرت طرابلس الى غات ، وبحيرة تشاد وقد توفي اودنيكس في جوان 1824م ، وواصل كلابرتون ، ودنهان الرحلة الى كانو ، وكاوا. ثم عاد الى طرابلس في جانفي 1825م. وفي نفس السنة كلفت الحكومة البريطانية الماجور الكساند قوردون لاين بالقيام برحلة الى افريقيا فغادر طرابلس في ماي 1825م وزار غدامس، وقاده الشاب عثمان بن الحاج البكري بن الحاج الفقيه ، الى عين صالح وازاواد ، ثم الى تمبوكتو الى ان اعترضته مشاكل وصعوبات، من طرف سكان برابيش فعزم على التوجه الى اروان بصحبة احمد عبده ولد الرحا ل. وفي الطريق قتله مرافقه ولد الرحال لاسباب احتلف الكتاب في شرحها

ففي عام 1855م قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا بقيمة ستة الاف فرنك ،للذي يقوم برحلة من الجزائر الى السينغال او بالاتجاه المعاكس بشرط ان يمر بمدينة تمبوكتو وياتي بمعلومات دقيقة وجديدة حول القوافل التي تعبر هذا القفار، وذلك من حيث اتجاهاتها واهميتها ومواعيد سفرها، وهذا من اجل الاستحواذ على النشاط التجاري الواسع المزدهر بالصحراء ،وتسهيل عمليات تنقل قواتها الغازية للصحراء.

وفي مطلع الخمسينات بدات الرحلات والبعثات تكثر،نحو الجنوب، فقام الدكتور "هنري بارث" الالماني برحلتين في عام 1849-1855م .من طرابلس الى غدامس ، وغات، بفزان، والى تشاد، وتمبوكتو، عبر قورارة ، وتوات، وتيديلكت، وفقد في هاته صديقيه ريتشارد سون، واوفيرويج[2]

وفي نفس الفترة قام "ادوارد فوجيل"(Edouard vogel) برحلة من طرابلس الى اعماق الصحراء عام 1853م ، وقتل بوادي بعد ثلاث سنوات ، وقام بونمان برحلة الى غدامس عبر سوف عام 1857م.

[1] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص64

[2] _Auguste ch erbonneau:relation du voyage de M.le capitaine de bonn emaine àR'dames 1856-1857,(paris.A.bertr

كما قام كل من كولومب، ودوفرييه، برحلتيين: الاولى الى القصور الصحراوية جنوب عمالة وهران عام 1853م، للتعرف على الواحات، والطرق ومعابر القوافل.

والثانية الى بلاد التوارق ازجير لدراسة تقاليد السكان ،وعاداتهم وأساليب حروبهم ، ثم قام بعد ذلك بعدد كبير من الرحلات الى مختلف مناطق الصحراء خاصة بلاد التوارق ، ومزاب

وتعتبر بعثة كل من ميرشير : micher وبولينياك: polignac وفاتون: vatonne وإسماعيل بوضربة الى غدامس عام1862م دفعا جديدا للتوغل الفرنسي الى الجنوب، وخدمة أغراض التجارة الفرنسية.

أثرت قضية التركيز على مجرى الأحداث ، فتوقفت عمليات الكشوف الصحراوية لفترة معينة من طرف المغامرين الفرنسيين ، وبدأت الدوائر الاستعمارية تفكر جديا في استعمال وسائل هامة للوصول إلى اهدافها من بينها التبشير والتنصير.[1]

المبحث الثالث: **ظهور البعثات التبشيرية.**

أما الجمعيات التبشيرية والمبشرون فقد لعبوا دورا مهما في التمهيد لقدوم الاستعمار إلى إفريقيا، إذ أنهم توغلوا بين الغابات والأحراش، وعملوا بين الإفريقيين ودرسوا عاداتهم ولغاتهم وتقاليدهم وكتبوا عن ذالك في المجلات والصحف الأوربية يحثون فيها دولهم على القدوم نحو إفريقيا.

مفهوم التنصير والتبشير.

أولا: مفهوم التنصير

لغة: التنصير من نصّر، ينصُّر، تنصيراً،والتنصير الدخول في النصرانية، ونصره جعله نصرانيا، وفي الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة فابواه اما يهودانه، وينصرانه"[2]،

وتنصر الشخص دخل النصرانية، فصار من النصارى قال تعالى: "... الذين قالوا إنا نصارى"[3]

---

[1] Jean françaiçs de colomb :Exploration des ksours et du sahara de la provine d'oran_.(alger – 1858),p63

[2]- ابن منظور: لسان العرب، مادة "تنصر" ص 441

[3] سورة المائدة ،الاية 14

ولما كان مصطلح النصارى مصطلحا قرآنيا، أصبح النصارى يطلقون على أنفسهم إسم المسيحيين بدلا عنه.

إصطلاحا: ترادف كلمة تنصير **(mission)** أي إرسالية تنصيرية والعمل في صقل التنصير وكلمة **(missionnaire)** أو **(missionury)** تعني منصر ضمن إرسالية، ولتنصير مدلولات إصطلاحية منها:

- ❖ الجهود المنظمة والمقصودة والمدعومة من قبل حكومات أو هيئات لتنشر النصرانية في العالم.

وبما أن مصطلح التنصير يعبر عن مضمونه، فإنه تم استبداله بمصطلح التبشير الذي أصبح المصطلح الأكثر تداولاً كنسيا وإعلامياً وحضارياً.[1]

ثانيا: مفهوم التبشير

لغة: التبشير من بشّر، وبَشِرَ، وتَبَشّرَ، يقالبشرته فأبشر، واستبشر، وتبَشّرَ، والتبشير يكون بالخير ولا يكون بالشر إلاّ إذا قيد كقوله تعالى: " فبشرهم بعذاب أليم"[2].

والتبشير يعني الخبر الذي يفيد السرور، إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخير الذي يؤثر في البشر تغييرا، وهذا يكون للحزن أيضا.[3]

إصطلاحا: التبشير **(EVANGELISATION)** في معناه الأصلي والإشتقاقي هو دعوة لإتباع ما جاء به الإنجيل من عقائد وتعاليم، فلفظة الإنجيل ذاتها تفيد معنى التبشير، أي حمل الناس بصورة أو بأخرى فرادى أو جماعات من عقيدة ما إلى العقيدة المسيحية، تعاطى رجال الدين المسيحيون الغربيون هذه الصناعة وجعلوا منها علما لاهونيا، وساند الباباوات هذا العمل.[4]

كما يطلق على المبشرين في أوربا باسم باسم الإرساليين **(les missionnaire)** أو **(evangelisation)**، وتعني **(ev)** الخير أما **(anglisation)** تعني الملائكي، ومن هنا جاء المعنى المقصود التبشير.[5]

كما عرف التبشير بتعاريف عديدة كلها مرتبطة بهذا المعنى، منها:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ، مرجع سابق، ص 442

[2] سورة الانشقاق، الاية 24

[3] حسن رمضان فحلة، الخطر الداهم على العرب والمسلمين، [د، ط]، [د،ن]، ص 188

[4] بلقاسم الحناشي، الحركات التبشيرية في المغرب الاقصى في النصف الثاني من القرن 19، [د، ط]، [د، ن]، ص 37

[5] عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص150 - 151

❖ توجيه المبشر نحو المسلمين، وإحلال المسيحية عوضا عنه:إنها عملية تنصير.[1]

❖ تلقين الإنجيل مثل: تنصير إفريقيا، وتنظيم نشر المسيحية في العالم عن طريق الدعاة لبث الإيمان.[2]

ومما سبق فالتبشير يطلق على جهود الأفراد والجماعات المنظمة والممولة من قبل الحكومات في سبيل نشر الدين المسيحي وتعليمه بين غير المسيحيين.

- **الكاردينال شارل لافيجري و ملامح التبشير في الجزائر**

وصل لافيجري الى الجزائر في 15 ماي 1867 وقد جعل من بين أهدافه الرئيسية ما يلي:

✓ جعل الجزائر نقطة انطلاق في التنصير في إفريقيا

✓ إحياء الماضي النصراني الروماني للمنطقة

✓ جعل التنصير ركنا أساسيا في البناء الاستعماري لاسيما بعد اتحاد الكنيسة مع أقطاب الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص.

كانت المجاعة الكبرى عام 1867 التي قضت على نصف مليون مسلم فرصة ذهبية لهؤلاء المنصرين خاصة الكاردينال لافيجري كاردينال الجزائر، فأسس جماعة الآباء البيض وهي من أنشط البعثات التنصيرية في الجزائر، وقد كان الهدف منها هو منافسة البعثات البروتستانتية التي تدفقت إلى الجزائر من أروبا، وجعل لافيجري بلدة الحراش القريبة من العاصمة مركزا رسميا لها[3]، وقد اختلفت فرقة الآباء البيض عن الفرق التيكانت موجودة آنذاك في الجزائر في أشياء كثيرة ذالك ان لافيجري أدرك أن اللباس الديني المسيحي لرجال الدين قد يخلق هوة بينهم وبين السكان، لذلك أشار على أعضاء الفرقة الجديدة أن يتقربوا من الأهالي باتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم في لباسهم ولغتهم. لكي يكون احتكاكهم بالاهالي شديدا ومفيدا وصور لهم عظم المسؤولية قائلا: "إن رجال الدين قاموا بإصلاح الاراضي في فرنسا وتعميرها وتنصير

[1] حسن رمضان، مرجع سابق، ص188 ،

[2] سعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، رسالة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، ص114.

[3] صالح عوض، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر ، من 1830 الى1962 ،(د،ط) ،(د،ن) ،ص 208،

* يتكون لباس الاباء البيض من جبة طويلة صوفية أو قطنية، ويوضع فوقه برنوس أبيض ومن شاشه خمراء على الرأس وتحاط الرقبة بمسبحة وردية بها صليب أبيض أو أسود وكثيرا ما كان الاب يترك لحيته طويلة.

سكانها بعد أن اكتسحت هجومات البرابر الأراضي الأوربية وهذا ما يجب عمله في إفريقيا بعد زحف الإسلام عليها" وقد ركز لافيجري من خلال فرقة الآباء والأخوات البيض على ميادين كثيرة أهمها التطبيب والتعليم حيث أسس الكثير من ملاجئ الأيتام كملجأ سان سيبيريان والقرى كقرية "سانت مونيك" للأطفال وهذا لسهولة التنصير بينهم على عكس الكبار، كما كان يرى ولاستكمال مشروعه التنصيري لجأ لافيجري الى تكوين المنصرين من الأهالي أنفسهم لان التنصير في نظره اذا تم بين إفريقي وافريقي يكون اكثر نجاعة من فرنسي لافريقي[1]، ولتحقيق أسس المراكز التنصيرية في مختلف المناطق لاسيما في منطقة القبائل حيث يتواجد البربر

الذين ركز عليهم لافيجري كثيرا من هذه المراكز:

1. مركز توريت عبد الله في آيت واصو سنة 1813م وبه ثلاث منصرين
2. مركز تغموفت عزوز في بني عيسى سنة 1873 وبه خمسة منصرين[2]

لقد ساهمت فرقة الاباء ولاخوات البيض في الحركة التنصيرية بقسط كبير ليس فقط في الجزائر وانما في افريقيا كلها، حيث يعتبر الكثيرون تاسيسها على يد لافيجري انطلاقاخت كبيرة في ميدان التنصير الذي بلغ طذروته في هذه الفترة.

- **الاب شارل ديفوكو: charles defoucauld**

كان لتواجدالاب ديفوكو في الجزائر اثر في تغير منهج حياته حيث قدم استقالته لما عاد الى فرنسا وتخلى بموجبها عن مركزه العسكري ورتبته العسكرية وذلك سنة 1882 ليتفرغ لخدمة المسيح والاحتلال الفرنسي عن طريق التنصير، عاد ديفوكو الى الجزائر سنة 1883 ليجعلها نقطة بدء وعودة في رحلته الى المغرب، ثم يرجع اليها سنة 1885، فزار مدنا عديدة في الجنوب الجزائري كما زار تونس ومنها عاد الى فرنسا سنة 1886، لقد استقر ديفوكو في هذه المرحلة في باريس فتغيرت حياته حيث أصبح يؤمن بوجود الله وعاد الى العبادة فكان يقضي لياليه في الكنيسة، وقد كان القس لابي افولين (l'abb–havelin) الذي يعتبر دي فوكو الاب الروحي له، كما عكف دي فوكو في هذه المرحلة على تحرير كتابه etitinèraire

2 صالح عوض :مرجع سابق ،ص 209

[2] سعيد عليوان، مرجع سابق ،ص 112

au maroc reconnaissonce استطاع المغرب وبيان خط سير الرحلة الذي ضمنه تفاصيل رحلته في المغرب، صدر سنة 1888 فاكسبه شهرة[1]، انضم ديفوكو قي سنة 1890 الى احدى المجموعات الدينية دام دوناج في لارداش وتسمى باسم الاخ ماري البريك، فاصبح يمارس الاعمال الشاقة لتطهير نفسه، فكان لرحلته الى ارض فلسطين وسوريا الاثر في حياته الروحية وقد استفاد دي فوكو ايضا من اقامته لمدة سنتين في روطما في دراسته علم اللاهوت، لقب دي فوكو في 09 جوان 1901 كاهنا من طرف مونتتى بحضور بوني، وبعدها بشهور قليلة سافر الى الجزائر ليستقر في الصحراء الجزائرية لمدة 15 سنة اي من سنة 1901 الى سنة 1916 وهي سنة قتله بأمر من الحركة السنوسية ترك ديفوكو مؤلفات تنوعت بين كتب وقاموس ورسائل وترجمات[2].

1) كتاب reconnaissance et itinéraire au Maric صدر سنة 1888م.
2) كتاب نحو لغة تيفيناغ[3].
3) قاموس فرنسي طوارقي نشر في مجلدين، ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة.
4) رسائل مع اصدقائه واهله في تاريخ فرنسا حيث يعتبر ما تركه دي فوكو من رسائل خاصة وهي أحد المصادر القوية لتاريخ السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري[4].
5) نصوص طوارقية مترجمة الى اللغة الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنشر الطوارقي، حيث ما تركه يعتبر كمرجع للأكاديمية البربرية في فرنسا[5].

بدأت رحلته الى المغرب في 10 جوان سنة 1883 مع الدليل اليهودي حيث انطلق من الجزائر العاصمة الى مدينة وهران فأبحر الى طنجة بالمغرب، ومنها بدأت الرحلة مشيا في منطقة الريف وهي عبارة عن سلسلة جبلية على ضفاف البحر الابيض المتوسط ومنها الى فاس وتازة

* ولد شارل دي فوكو في 15 سبتمبر 1858 بمدينة ستراسبورغ في فرنسا نشا يتيما حيث يتوفى والده سنة 1864 وهو في طفولته تلقى دي فوكو تعليمه الابتدائي في اسقفية سانت بمدينة ستراسبورغ ثم بثانوية اميريال بمدينة نانسي وتوقفت دراسة بسبب الحرب الفرنسية فبعد حصوله على شهادة البكالوريا انخراط في الحياة العسكرية.انظر احميدة عميراوي :مرجع سابق ،ص52

[2] رني بازان :شارل ديفوكو ،نشر بليل ،باريس ،1921 ،ص38

[3] لغة تخاطب الطوارق هي "تماشيق " وكتاباتها هي "تيفيناغ" تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية.

[4] أحميدة عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية ص 172

[5] محمد الطاهر عزوري، الغزو الثقافي والفكري للعالم الاسلامي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 1999، ص99

ثم الى الجنوب بالاتجاه الى المحيط الاطلسي وانتهى بهما المقام في أغادير وموقادور بقي فيها شهرا كاملا قم عاد عن طريق الاطلس الصغير، حيث استغوقت عودته مدة شهرين كاملين قبل وصوله الى وهران في 23 ماي 1884، لقد كان دي فوكو خلال هذه الرحلة يسجل خفية ملاحظاته والمعلومات الكبيرة عن سكان القرى والمناطق التي مر بها عن عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم ولهجاتهم وطباعهم وطرق تفكيرهم، خاصة ان هؤلاء كانوا مزيجا بين مسلمين ويهود وبين عرب وبربر وزنوج وعن ثروات السكان وامكاناتهم المادية والدفاعية وثروات المنطقة من وثائق ومخطوطات وحول الطبيعة المختلفة وجغرافية المناطق بتضاريسها المتنوعة حيث كان يرسم مخططات طبوغرافية لها وقد وصف دي فوكو دقة هذه المخططات وأهميتها لسلطات الاحتلال الفرنسي برجل حرب ورسام ذي ذوق عال، بل فنان حقيقي وشُجع وكُرم من قبل المؤسسة الجغرافية بباريس في أفريل سنة 1885، وقدم دي فوكو خدمة جليلة للسلطة الفرنسية حيث كانت التقارير التي كتبها عن سكان المناطق المغربية التي كان يمر بها خلال رحلته من الخرائط والطرق والمعابر التي رسمها دليلا اعتمد عليها جيش الاحتلال الفرنسي في غزوة المغرب 1912[1].

رحلته الى الجزائر سنة 1901 ـ 1916 لقد كانت أول زيارة لدي فوكو للجزائر سنة 1880 ضمن فرقة عسكرية فرنسية للخيالة أرسلتها مدرسة سومير " saumur " حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف ثم رجع مرة ثانية سنة 1883 وكانت الجزائر نقطة انطلاق وعودة في رحلته الى المغرب وفي سبتمبر 1885 عاد الى الجزائر مرة ثانية ومكث فيها عدة أسابيع زار خلالها مدن عدة منها: وهران ولاغواط وغرداية وورقلة وتقرت ومدينة قابس بتونس وعاد منها الى فرنسا في 23 جانفي 1886.[2]

- **شارل دي فوكو في الصحراء الجزائرية**

قرر شارل دي فوكو الاقامة بتامنراست سنة 1905 وكان في 47 من عمره، ولم ينقطع عنها تقريبا الى آخر حياته، لماذا اختار دي فوكو هذه الناحية من الصحراء؟

يعود اختياره الى عدة اسباب منها ان المكان يوجد في منطقة جبلية بصلب الهقار وفيها تعيش اهم قبلة من قبائل الطوارق وهي قبيلة "داق رالي"، وكانت تامنراست بعيدة عن جميع القرى

[1] محمد الطاهر عزوزي ،مرجع سابق ،ص 99
[2] المرجع نفسه ،ص99

الهامة، ولم يتجاوز عدد السكان تامنراست في ذلك العهد عشرين أسرة أي مئة نسمة تقريبا، وقد سبق لفوكو انه تعرف على الصحراء الجزائرية حيث عاش في قرية بني عباس أربع سنوات (1901 ـ 1905) غير انه فضل منطقة اهقار لبعدها عن مدن الشمال وعزلتها وامنها ومن هذه الاسباب نذكر ايضا تشجيع صديقه "لابرين" حاكم الواحات حينذاك وهو الذي حببه على زيارة الهقار [1]والاهتمام به، وبدا له كذلك ان للطوارق استعداد لقبول دعوته فهم اقل تعلقا في الاسلام في اعتقاده وهذا راي العالم "غوبني" وهم لايعرفون اللغة العربية معرفة جيدة، فلا يتاثرون بدعوة المرابطين اي الاولياء وتسهيلا لعمله في منطقة الطوارق قرر دي فوكو ان يتعلم لغتهم، ثم شرع في تأليف كتاب في النحو ومعجم تارقي ـ فرنسي وفرنسي ـ تارقي، واستعان بخبرة صديقه موتيلنسكي الذي عاش معه في تمنراست عدة اشهر وجمع العديد من القصائد الشعبية المحف)وظة وترجمها الى اللغة الفرنسية كما انه ترجم الاناجيل وبعض النصوص المسيحية وغرضه من هذا كله تسهيل مهمة المبشرين ولاتصال المباشر بالاهالي.

ورسالة دي فوكو في الصحراء لخصت في امرين اساسيين هما:[2]

اولا: العمل على نشر النفوذ الفرنسي في الهقار.

ثانيا: ادماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم.

ورآى ان يكون العاملان متكاملان ولا يمدكن فصل الواحد عن الاخر فراى فوكو انه من الضروري ان يحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي في تمنراست وانه يساعد القرية ببستاني خبير وحافر للآبار وطبيب كما انه اقترح ان يتعلم النساء النسيج وان تفتح بعض المتاجر[3].

فاتصل برئيس الطوارق وهو "الامينوكال" موسى آق آمستان وشرح له انه لا بد من توفير ثلاثة اشياء لرفع مستوى السكان وهي اولا تربيتهم الخلقية، وثانيا نشر التعليم الفرنسي الى حد معين وثالثا اثبات الرحل في القرى مع الحفاظ على تربية المواشي. ويستهدف هذا المشروع تحويل السكان من وضعية الرحل المتجولين الى شبه مدنيين مستقرين فتبنى القرى في مناطق مناسبة ويعتني الاهالي بالزراعة والصناعة اليدوية، والى توفير البريد والتلغراف تسهيلا للمواصلات

[1] ريني بازان،مرجع سابق ، ص443

[2] رني بازان ،مرجع سابق ،ص 444

* موتيلنسكي: مستشرق وخبير في اللغة البربرية، له عدة مؤلفات.

[3] محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي ،ج1، كتاب الاصالة، وزارة الشؤون الدينية تمنراست ص 247

واهتم فوكو كذلك بالسكة الحديدية التي بدأ الخبراء في دراسة بنائها عبر الصحراء ومن الغريب انه راى صلة بين تحقيق هذا المشروع وتدعيم التبشير.[1]

ان التبشير هو الاساس في اعتقاد دي فوكو والتعبير وسيلة لتحقيقه انه لا يكتفي بتنصير المسلمين واليهود والمسيحيين المنحرفين فحسب بل يريد تنصير القارة الافريقية كلها، وهدفه هو هدف "لافيجري"، لكنه يحترز كثيرا في طريقة التبشير لانه يدرك صعوبة الامر في البلاد الاسلامية.[2]

- **مراحل التبشير عند دو فوكو**

لما أدرك دو فوكو استحالة التنصير المباشر لتمكن الاسلام في نفوس الصحراويين قرر ممارسته عبر مراحل معينة بحيث كسب قلوب التوارق بالتظاهر بالمحبة والثقة والصداقة والتقوى والخدمات... الخ ليس لوجه الله بل لكسب ثقتهم ثم كسب ضمائرهم بعد قلوبهم وزعزعة معتقداتهم بالتخلص كليا وجزئيا من الايمان الاسلامي والتنكر لدينهم لان هذا التنكر له هو الذي يحظم كيانهم الداخلي[3]، ويمزق وجدانهم ليقعو بين مخالبه الطويلة وأنيابه الفتاكة فريسة سهلة، وبهذا تكون المرحلة الاولى في التنصير هي ما عبر عنه في الاوضاع الثقافية والاجتماعية بتحطيم البنية الثقافية للمجتمع واحلال محتوى جديد بدل ذلك هو النصرانية والولاء لفرنسا ولكي يحقق هذا الهدف فقد انطلق كما ذكرنا سابقا من لاوضاع المجتمع السابق ذكرها، ولما وجده مجتمعا مرابطا ووجد ان من مصطلحات المرابطين مصطلح "الاخوان" أسس جمعية متاثرة برجال الزوايا سماها "الجمعية الاخوانية" لتصبح جمعية عالمية مازالت موجودة موجودة الى الان، ولما وجد أن من مميزات الطرقية المسبحة تَمَربَط واستخدم مسبحة اي اتى بالبديل وهو ما اسماه "سبحة الصداقة" وهنا يبدوا بجلاء اتباعه في التنصير للخطوات الاتية:[4]

- كسب ثقة التوارق بالتظاهر امامهم بالورع والتقوى والزهد ومساعدة البؤساء وتقديم الخدمات...الخ

---

[1] محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي، مرجع سابق، ص 247

1راجع الكولونيل "بان"، رسائل عادية من الجزائر، نشر جوردان، الجزائر سنة 1893، ص 510

2 رني بازان ، مرجع سابق ، ص400

3علي مراد، شارل دي فوكو، في نظر الاسلام ،(د.ط)،(د.ن)،ص 68 – 62

[44] علي مراد ، شارل دي فوكو، مرجع سابق، ص 63

- العمل بلا هوادة دون ان يحس التوارق بذلك على تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع.
- الرغبة الاكيدة في العمل على زرع الاضطرابات في الاذهان، والا ماذا تعني رغبة تعليم المسلمين تسبيحة غريبة تماما عن تراثهم الثقافي؟ وهذا ما كان يريده دو فوكو الذي كان يعمل بلا هوادة الى زرع الشك في اذهان المسلمين لجعلهم يتخلون عن دينهم.[3]

استراتيجية دو فوكو في التنصير

عندما عاد دو فوكو الى الجزائر اظهر التعبد والتنسك وبذل جهودا جبارة في التبشير والعمل على تنصير المسلمين فاستقر في بني عباس وعمل على تنصير الكبار ففشل فاتجه الى الصغار واخفق ايضا ،فاتجه صوب الطوارق واستقر في الهقار بتمنراست سنة 1903 التقى بزميله في مدرسته سان سير الجنرال لا برين la perrine فاقنعه بالتنقل الى الهقار ليمهد لاحتلالها كما اقنعه سنة 1905 بمرافقته في رحلة استطلاعية عبر قبائل الطوارق والمناطق المجاورة للهقار، ورغم الطابع السياسي ولإداري لهذه الجولة فانه استغلها في دراسة نفسانيات السكان وطبائعهم كما استغلها في الدراسة العلمية للصحراء مثلما صنع اثناء رحلته في صحراء المغرب التي توّجها بكتابه la reconnaissance au Maroc فدرس في هذه الرحلة مستعينا بـ لا برين ورجال الجيش الجيولوجيا والطبوغرافيا والجغرافيا وأحوال الطقس والحقل المغناطيسي كما قاموا ببعض الارصاد الجوية كل هذا تحت حماية الجنرال لا برين الذي نسق مع دو فوكو على تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية للطوارق وذلك بالسلاح والإرهاب وهذا بتبييض وجهه الاول ومحو اثار بطشه.[1]

[1] علال الفاسي، حديث عن التبشير وبعض الوثنيات الطائفية الهندية، سلسلة الجهاد الاكبر، الرباط 1974،ص04

خاتمة الفصل الثاني

نستنتج ان البعثات الاستكشافات و كذا التنصرية التي سبقت التوسع الفرنسى في الصحراء الجزائرية بالغ الاثر في الاخضاع ، حيث استطاع المستكشفون ان يقدمو لفرنسا معلومات عن السكان والعادات والتقاليد والمسلك والطرق التي استطاعوا من خلالها ارساء قواعد الغزو والاخضاع بداية القرن العشرين بمساعدة هؤلاء الرحالة والمستكشفون ، امثال جيرهارد روهلفس الذي قدم معلومات ذات اهمية كبيرة عن الصحراء الجزائرية انطلاقا من تافيلالت المغربية وصولا الى توات ، عين صالح ، تيماسين ،غدامس ، واستطاع ان يتعرف عن السي عثمان البكري الدي اصبح الدليل المفضل لدى الفرنسيين فيما بعد امثال هنري بارث الدي مر ايضا باقليم ازجر وتحصل على معلومات سيسولوجية عن التوارق وبفضل مخططاته تم وضع خريطة تقريبية عن وسط الصحراء 1856 كما ارسلت فرنسا اسماعيل بوضربة الى اقليم ازجر واستطاع هو الاخر ان يقدم لفرنسا معلومات من خلال المعاهدة ابرمها مع زعماء ازجر سنة 1860 وضف الى دالك الرحالة دوفرييه الدي استطاع التعرف على الحاج عثمان البكري واخنوخن ، وتعد المعلومات التى تركها دوفرييه اهم مرجع للحملات الفرنسية بما فيها الاستكشافية والتنصيرية ثم ياتي العقيد فلاترز الذي استطاعت بعثته ان تقدم مخطط لطريق ورقلة الى اغرغارن وذالك قبل ان يقضي عليه التوارق فى اهقار عام 1881 .

اما بالنسبة للبعثات التبشيرية فقد استطاعت الصحراء الجزائرية ان تحصد ارواح ستة اباء منصرين مابين 1875-1881 حيث لقي كل من الفريد بولمي وبيار بوشان وفيليب ميموري حتفهم قرب المنيعة سنة 1875 ثم ياتي مقتل كل من الاباء ريتشارد ودبو بلارت قرب غات وهم متوجهون الى اهقار سنة 1881 ، اما الاب شارل ديفوكو فقد تمكن من الاستقرار بتمراست سنة 1905، الى غاية وفاته 1916 هدا الاخير قدم معلومات سياسية تجسوسية عن الهقار الا انه لم يستطيع تحقيق هدفه المنشود –التنصير–رغم جهوده في دالك امام الاسلام الدي وجده عائق للتنصير، والملاحظ ان كل روادالحملات سواء الاستكشافية والتنصيرية كانوا دو مستوى علمي عالي من اطباء ومهندسين وضباط متخرجين من اكبر المدارس العسكرية وحتى علم الاجتماع وهذا يفسر مستوى وقيمة المعلومات التى قدموها للاستعمار الفرنسي وهكذا سنرى كيف استطاع الاستعمار تجسيد تلك المعلومات في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وانعكساتها من خلال بعثة العقيد فلاترز:

يعود اهتمام فرنسا بالصحراء الجزائرية الى مادونه الضابط الفرنسي "لابيرين"الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، وضع تضاريس المنطقة وقد لفت انتباه القيادات الفرنسية في العديد من المرات نظرا للأهمية الاستراتيجية فهي جسر يربط اوربا وإفريقيا وهذا ما استوضحته البعثات الاستكشافية والتبشيرية من خلال المذكرات والخرائط والكتب التي تركها هؤلاء الرحالة والتي من خلالها استطاع الاستعمار الفرنسي التوسع في الصحراء طبقا لتلك المعلومات ونذكر مثلا العقيد فلاترز الذي كان له الدور الفعال في تقديم مشروع السكة الحديدية العابرة من الجزائر الى تشاد والنيجر.

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية من هو العقيد فلاترز؟ وماهي خطة سير بعثته نحو الصحراء؟ ما هي دوافع اهتمام فرنسا بالصحراء، هل استطاعت فرنسا بمعية خطة فلاترز التوسع في كامل تخوم الصحراء؟ ماهي انعكاسات التوسع الفرنسي على المناطق التي استطاعت السيطرة عليها؟

المبحث الأول:تحديد بعض مناطق النفوذ الفرنسي في الصحراء

ان ما شجع الفرنسيين للتوسع في القارة الافريقية، الخاصة بعد احتلالهم الجزائر سنة 1830 ونجاحهم في مد نفوذهم على المناطق الساحلية والتلية رغم المقاومات البطولية التي واجهوها في تلك المناطق، فباحتلال فرنسا للجزائر جعلها تهتم بالصحراء الجزائرية اكثر فأكثر، وازداد الاهتمام وترسخ منذ ثورة سكان الجنوب الوهراني بزعامة اولاد سيد الشيخ،وثورة الزعاطشة ببسكرة 1844 وحركة الشريف محمد بن عبد الله بواحات الاغواط وورقلة وتقرت ومن الملاحظ ان توسع الفرنسيون بالصحراء الجزائرية له دوافع نذكر منها[1]:

1-تحول المناطق الصحراوية بما فيها الهقار الى معاقل للثوار الفارين من الشمال بهدف الاستعداد للمقاومة من جديد لذلك قرر الفرنسيون التوسع الى اعماق الصحراء للسيطرة على كامل التراب الوطني، وجعل اراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية فالصحراء تعتبر نقطة استراتيجية بالنسبة لفرنسا اذ فتحت لها الابواب على العالم الافريقي من خلال ربط مستعمراتها في الشمال الافريقي عن طريق الصحراء بمستعمراتها في غرب الافريقي خاصة السنغال التي استقر لها الامر فيها مذ سنة 1856-1857 ومالي الذي احتلته سنة 1880 وما يؤكد هذا القرار الذي اتخذته الجمعية الجغرافية في باريس 1885 والقاضي بتقديم مبلغ قيمته 6000 فرنك فرنسي لمن يقوم برحلة من الجزائر الى السنغال بشرط ان يمر بمدينة تيمبوكتو وياتي بمعلومات دقيقة حول القوافل التي تعبر هذه القارة.[2]

2- ان هيمنة فرنسا على المناطق الشمالية فتح شهيتها للتوسع اكثر نحو الجنوب الجزائري، خاصة وإنها ترى في الصحراء مخزن اقتصادي واستراتيجي يؤمن مستقبلها في القارة السمراء ويتضح ذلك في تقرير المارشال "سولت" "soult" وزير الحربية الى الملك "**لويس فيليب**" الذي اوضح اهداف التوسع جنوبا بقوله" ... ان الصحراء الجزائرية أو بعبارة اخرى كل المناطق

[1] عبدالقادر بوباية :مرجع سابق ،ص20

[2] المرجع نفسه :ص21

الواقعة جنوب التل الجزائري يجب ان تشكل نوعا ثالثا من المناطق الادارية، اذ لايمكن توظيف الاوربيون في هذه المناطق، وحتى الجيش لايدخلها إلا بصعوبة متقاطعة إما لإقرار الآمن او لتهيئة الظروفالتجارية التي ستفتح لنا طرقا هامة نحو افريقيا السوداء ...[1]".

3- لانجاز المشروع الاقتصادي الفرنسي قامت الادارة الفرنسية بتأسيس العديد من الجمعيات والشركات الاحتكارية والبنوك منها جمعية التجارة لإفريقيا الغربية والبنك التجاري الافريقي وبنك افريقيا الغربية، كما أنشأت ايضا الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر لفتح آفاق واسعة، بوضع شبكة طرق للمواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل للقوات العسكرية بين مختلف المناطق الصحراوية، ومن مشاريع السكك الحديدية ما قام به "كاباني"(kapany)الذي اقترح سنة 1853 مد خط حديدي يربط الجزائر العاصمة ببوسعادة، ويمر على ورقلة وعين صالح الى مدينة تمنراست، وما قام به المهندس "ادولف دبونشل" (Doponchil Adolf)بدراسة السكة الحديدية العابرة للصحراء، ناهيك عن مشروع: "بربو" (Borbo) وكذا مشروع "دوريان" [2](Durian)

4-وزادت اهمية الصحراء بعد اكتشاف البترول والغاز الطبيعي بحيث عملت على فصل الصحراء عن باقي التراب الجزائرية خاصة وأنها تزخر بثروات طبيعية ومعدنية، وازداد هذا الاهتمام خاصة بعد اكتشاف مناجم الحديد في منطقة تندوف، الذي يعتبر ثالث احتياطي في العالم من حيث الاهمية، اما الفحم الحجري تم اكتشافه بكولمب بيشار، بالاضافة للنحاس الذي وجد بمنطقة "اقجوجت" وقدر بحوالي 500 الف طن، اما اليورانيوم فتم العثور عليه بمنطقة الهقار[3]، والغاز الطبيعي يوجد بمنطقة حاسي الرمل اذ يمتد على مساحة 2200

[1] اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 61

[2] فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية :درسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،دار القصبة للنشر 2009،ص41

[3] المرجع نفسه :ص42

كلم[2]هذا من جهة ومن جهة ثانية عملت على مد نفوذها عن طريق تشجيع البعثات الاستكشافية

أولا: إحتلال بوابة اصحراء

أوضاع منطقة الزيبان قبيل الإحتلال: عرفت هذه المنطقة أحداثا تاريخية كبرى وهي بحيث استولى عليها الأتراك العثمانيون في نهاية النصف الأول من القرن 56م وحكموها بواسطة عائلة بوعكاز في الشمال وأسرة بني جلاب في الجنوب، وبعد الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر في صيف 1830م إنتشرت قوات الإحتلال في البلاد للسيطرة والتوسع حتى دخلت مدينة قسنطينة إثرالحملة الثانية يومي 13و14 أكتوبر 1837م بعد مقاومة عنيفة من طرف السكان بقيادة أحمد باي ، غير أنهم لم ينتصرواْ وأجبر أحمد باي على الفرار من المدينة مع بعض أقرباصه وجزء من جيشه وإلتجأ إلى الجنوب لجلب الأنصار من بسكرة و الصحراء عن أصهاره من عائلة إبن قانة المشهورة والتي كان لها الأثرالكبير في تجنيد القبائل الصحراوية لإسترجاع مدينة قسنطينة[1].إنطلق أحمد باي لمحاصرة قسنطينة والتمركز على طريق عنابة لقطع المددو الإتصالات عن العدو إستعد أحمد باي للإنسحاب نحو الصحراء أولاْ لمحاربة خصمه فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز ثم التوجه بعد ذالك لمعالجة الفرنسين قسنطجينة عند علم فرحات بن سعيد أن أحمد باي يلاحقه دعم صفوفه بأولاد عبد النور والبلزمة والحضنة ثم قام الهجوم على بسكرة كاوكل مواجهة بين الاشقاء والتي اختنصر فيها فرحات بن سعيد على قوات احمد باي اما الامير عبد القادر كان منشغلا في توسيع نفوذه عبر قبائل قسنطينة وهو على اتصال بفرحات الذي استولى على بسكر ة[2]، وابعد عجها احمد باي حيث عزم هذا الاخير على مهاجمة فرحات فدارت بينهما معركة ضاربة بموقعة "صحيرة" بالزيبان التجا فرحات لتقوية نفوذه الى اولاد نايل اما احمد باي وضع مخطط من اجل سحق واحات الزاب القبلي والزاب الظهري انتقاما منهم لمؤازرتهم لفرحات حيث عين الامير عبد القادر الحسن بن عزوز خليفة على بسكرة

[1] ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق،ص28

[2] ابراهيم مياسي :المرجع نفسه،ص29

دوالزيبان شريطة ان يعمل من اقصاء انصار احمد باي من بسكرة وبالفعل دتم ذالك عام 1838م[1].

ثورة الزعاطشة:

لهذه الثورة اسباب وتداعيات نوجز بعضا منها في نقاط كالاتي:

- ❖ رفض اهل الواحة للاستعمار الفرنسي
- ❖ كان لصدى ثورة فرنسا سنة 1848م وعزل الملك لويس "فيليب" وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية اثر على الحياة السياسية في الجزائر والتي على اثرها عزل الحاكم العام للجزائر الدوق دومال وعوض بالجنرال كافانياك في 03 مارس 1848م
- ❖ الظروف اتلعسكرية التي عاشتها مقاطعة قسنطينة دور في تهيئة الشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة.
- ❖ امال الشيخ بوزيان في مواصلة الثورة التي قادها الامير عبد القادر طيلة 17 عاما بصفته شيخ واحة الزعاطشة وضمن موضفي ادارة الامير بالمنطقة.
- ❖ انتشار الروح الدينية من اجل المحافظة على كيان الشعب العربي المسلم بالجزائر.
- ❖ الدافع الاقتصادي تمثل في ارتفاع الضرائب التي اثقلت كاهل السكان بالواحة[2].

وقائع معركة الزعاطشة: مرة هذه المعركة بثلاثة مراحل:

المرحلة الاولى:(المواجهة)

بدات بوصول القوات الفرنسية الى الواحة يوم 16 جويلية 1848م تحت قيادة العقيد "كاربوسيا" الذي شدد الحصار على الواحة لخنق الثورة في مهدها والتخلصمن قائدها حتى يستتب الامن بالمنطقة ولكن فوجئت بصلابة اللثورة باقدام المجاهدين فالحقوا بالعقيد الفرنسي هزيمة نكراء فامر ما بقي من جنوده بالتراجع ولاكن كان محاصرا من طرف مجاهدي اولاد نايل وبوسعادة والمسيلة الا ان العقيد الفرنسي كاربوسيا استطاع الفرار متوجها الى بسكرة فارسل الشيخ عبد

[1] ابراهيم مياسي :مرجع سابق ،ص30
[2] المرجع نفسه ،ص57

الحفيظ مقدم اخوان الرحمانية رسولا الى الشيخ سيدي عقبة الباي بوشنوف يطلب منهم الانضمام الى صف المسلمين ومحاربة العدو لكن بن شنوف خان وغدر واسرع باخبار السلطات الفرنسية بحيث في الحين خرج قائد دائرة بسكرة سان جرمان على قوة كبيرة العدد ليواجه بها المجاهدين وعندما وصل الى واد براز وفي غياب الحراسة على معسكر ضرب عليها الحصار وبدا يقتل المسلمين قتالا عنيفا الا انهم هزموا قتل قائدهم سان جرمان ولكن احكام الحصار من طرف القوات الفرنسية جعل قوات المجاهدين تنهزم وتتقهقر مما اجبر سيدي عبد الحفيظ على الانسحاب واعتصم بالجبال المجاورة لجمع شتاته وتنظيم صفوفه.[1]

المرحلة الثانية: (الحصار)

حيث تجمعت القوات الفرنسية بكدية المائدة في يوم 07 أكتوبر 1849م وكانت تحيط بواحة الزعاطشة اسوار ضخمة لحمايتها من غارات الاعداء هذه التحصينات المحكمة والغابات الكثيفة كلها مصاعب تجعل القوات الفرنسية في وضعية سيئة لهذا كلما اقتربت من الواحة إلا وعادت منهزمة مما جعل هيربتون الذي جاء مكان كربوسيا يشكي الى الجنرال شارون ومن ترتيبات الحصار[2]، الذي ضربه هيربيون احتلال الزاوية التي تقع بجانب كدية المائدة هذا لان لها موقع استراتيجي جعل منها نقطة انطلاق الهجوم غير ان الشيخ بوزيان استطاع ان يفر من هذا الحصار وقام بارسال الرسل الى مختلف الجهات طلبا للنجدة لمقاومة العدو[3].

المرحلة الثالثة: (الهجوم الاخير)

حيث طلب هيربيون من السلطات الفرنسية النجدة والتي وصلته من قسنطينة وباتنة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة وجدد الهجوم مرة ثانية تحت امرة ضباط منهم "بارال" والعقيد "دومونتال" فضربوا الحصار على الواحة من اوائل اكتوبر الى غاية 28 سبتمبر وهو تاريخ الهجوم الاخير حيث كبدوا بالواحة خسائر مجحفة فقتلوا الاطفال والنساء والشيوخ وقطعوا الاشجار منهم النخيل الذي يعد مصدر رزق السكان وقاموا يتخريب المنازل وحرقها وبعد معركة طاحنة احتلت القوات الفرنسية الساحات والشوارع ومن وسط الركام خرج بوزيان شامخ الرأس فانهال العدو عليه فسقط

[1] ابراهيم مياسي :مرجع سابق ،ص61 -66
[2] المرجع نفسه :ص 67 -68
[3] ابراهيم مياسي :مرجع سابق ،ص 68

شهيدا واقاموا على باب المعسكر مقصلة علق عليها راسه هو وابنه وعلى اثر هذه الفاجعة عزمت القبائل الانتقام والثار لزعيمها المجاهد الشيخ بوزيان[1].

ثانيا: القســـــم الاوســـط واهــم معاركـه

1- **سقوط ورقلة والاغواط وتقرت:**مع مطلع النصف الثاني من القرن 19 شهدت الصحراء الجزائرية العديد من الثورات والتي امتدت من اولاد سيدي الشيخ غربا [2]،الى منطقة وادي سوف شرقا، ويصعب مراعاة التسلسل الزمني لها كونها متداخلة ومتزامنة مع بعضها في الكثير من الاحيان.

ان احتلال الاغواط سمح للمارشال "راندون"(randon) ان يجعل منها نقطة ارتكازاستراتيجية باعتبارها بوبة الصحراء، وتتبعت فرنسا اثناء معاملتها مع السكان اسلوب الاتفاقية مع شيوخ المنطقة.ونذكر مثلا الاتفاق الذي وقع بينهم وبين اهل"ميزاب" 29 أفريل 1853 والذي يقضي دفع ضريبة للفرنسيين مقدارها 45000 فرنكا والاعتراف بحمايتهم مقابل عدم التدخل في شؤونهم الداخلية، مع استمرار ممارسة التجارة مع تونس والمغرب،بشرط عدم السماح لغير بالدخول[3].

إلا ان هذه الاتفاقية ساهمت بتوغل القوات الفرنسية الى مشارف مدينة تقرت، ولم تمضي سنة واحدة حتى تمكنوا ن احتلالها بحجة مطاردة الثائر "الشريف" الذي ظهر عند صديقه "سلمان الجلابي"وفي منتصف القرن التاسع عشر جهزت السلطات الفرنسية حملة عسكرية كبيرة بقيادة "مرامية"و"ديفو"و"بان" وهناك قامت معركة تدعى معركة "المقرين"يوم 28 نوفمبر1854 اين قدرت قوات الشريف 800 فارسا و 2000 من القنطارية،حيث تكبد الشريف على اثرها حوالي 500 قتيلا،الامر الذي جعل الشريف ينسحب من تقرت وتمكن القوات الفرنسية من الدخول

[1] المرجع نفسه :ص 69-70

[2] ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 01، سنة 1992، ص 358

[3] ابوالقاسم سعد الله :مرجع سابق ،ص 359

يوم 5 ديسمبر 1854 وعينوا عليها "فرحات بن سعيد" –عائلة بوعكاز –حاكما عليها[1]، في هذه الفترة التجأ الشريف الى تونس قصد المتداوي من الجروح التي اصيب بها، ثم عرج مرة اخرى الى تقرت وقام بتحريض بقية السكان الذين لم يصلهم العدو خاصة "الشعامبة"و "المخاصمة" وبمساعدتهم ظل يكرر هجومه بين الحين والاخرعلى فرنسا الا ان العدو جهز له جيش قويا من المرتزقة منهم "الباشا حمزة بن بوبكر" من اولاد سيدي الشيخ .وفي نفس السنة وقعت معركة اخرى تدعى "نقوسة" يوم 8 اكتوبر 1861 حيث حدث اشتباك بين الفرنسيون والشريف وعلى اثرها اعتقل الشريف الى قارة الحاح، ثم نقل الى وهران ثم كورسيكا وفي سنة 1863 اعيد من منفاه الى عنابة اين وافته المنية[2].اما عن بالنسبة لحمزة بن بوبكر فقد عينته فرنسا خليفة لها على اقليم الصحراء،وبعد ان استتب لها الامر قامت بعزله من منصبه،واختلفت الرويات عن مصيره ذكرت السلطات الفرنسية انه اغتيل من طرف احدى زوجاته وبعد وفاته خلفه ابنه سليمان بن بوبكر الا ان هذا الاخير كان عكس والده فسرعان ما اعلن الثورة ضد العدو 1864[3].

شملت هذه الثورة انحاء واسعة من الصحراء حيث كبدت فرنسا خسائر جمة وامتدت من "فقيق"الى "تافيلات" هذا الامر جعل فرنسا تكثف من المراكز العسكرية بين ورقلة والمنيعة مع ظلت اتفاقياتها مع ميزاب تعيق تحركات العدو المشبوهة،وعندما ادركت عدم جدواها معهم قامت بالزحف على بني ميزاب 1882 وكان الانتصار حليف فرنسا مما مكنها من اقتحام المنيعة وبها اسس مركز عسكري دائم،ولتحقيق ذلك شرعت في تشيد العديد من الحصون المنيعة مثل حصن "ماربيل" في حاسي عمارعلى بعد 165 كلم جنوب غرب المنيعة في واد امقيدات،وفي سنة 1895 تمكنت من احتلال الابيض اولاد سيدي الشيخ وجنان بورزق في

[1] حميدة عميراوي :مرجع سابق ،ص 45-46

[2] يحي جلال :تاريخ المغرب الكبيرالعصور الحديثة وهجوم الاستعمار ،دار النهضة العربية بيروت ج3 ،1981 ،ص45-47

[3] ابراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 107

[2] يحي جلال ، مرجع سابق، ص 208.

الجنوب الوهراني،وفي سنة 1897 قامت بنقل مركز دائرة الجنوب فمثلا ارسلت في28 نوفمبر1899 بعثة من ورقلة نحو عين صالح [2]،والتي وصلت يوم9 ديسمبر 1899 الى حاسي اينفل وفي 15 ديسمبر صلت الى حاسي السوقي،ثم غادرته يوم 18 من نفس السنة لتلتحق بحاسي المقر ومنه الى رق لحماد الى ان وصلت ايقوستين اين حطت رحالها، الا ان سكان تلك المنطقة علموا بنوايا البعثة فشنوا عليها هجوما مفاجئا يوم 29 ديسمبر 1899،في الصباح الباكر بقوة تقدر بحوالي 1200 مجاهد بقيادة "الحاج المهدي باجودا"رئيس قبيلة اولاد باجودا،واستمر القتال الى غاية العاشرة صباحا،وكان من نتائج القتال استشهاد الحاج المهدي وعدد من انصاره وسيطرة النقيب "بان" على الموقف خاصة بعد ان تدعم من طرف فرقة الصباحية بقادة النقيب "جرمان" بهذا الانتصار تكون البعثة قد واصلت سيرها ودخلت القصر الكبير لتستقر بقصبة خلود للراحة[1].ثم الى عين صالح، وبقرب قصر دقامشة تجددت المعركة يوم 1900/01/05 معركة قصر دقامشة اختبأ الفرنسيون بحصونه وحدائقه وبدأ الاشتباك حوالي 09 صباحا ولعدم وجود توازن في القوى مات العديد من الثوار وانجرح كثير[2].

وأمام هذا الوضع الصعب قرر الوالي العام "لافريار" تدعيم البعثة بقوات اضافية فأمد القائد بومقارش– القائد الاعلى لدائرة القليعة– باتجاه عين صالح رأس الفرقة العسكرية والتي ضمت 150 جنديا، 150 قوميا وفي 1900/01/18 وصلت الى القصر الكبير وبعد صراع كبير تمكنت من الدخول الى بني صالح وإذا كمائن فرنسا قد حققت انجازا عظيما بهذا الفوز فإنها وصلت الى الجنوب زحفا، وفي هذا الشأن اصدر الوالي العام تعليماته الى الرائد بومقارتن باحتلال عين غار، وكلف هذا الرائد الملازم"كلوستر" بالسير اليها على رأس 100 فارسا للتعرف على الواحة[3].

---

[2] يحي جلال ، مرجع سابق، ص 208

[3] ابراهيم مياسي :توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ،ص109

3 المرجع نفسه :ص 112

غادر هذا الاخير عين صالح يوم 1900/01/21 ودخل عين غار دون مقاومة وهو مادفع "بولمقارتن" الى الالتحاق به على راس كوكبة من الصباحية الصحراوية و 100 جنديا و120 قومي لاحتلال كامل هذه الواحات، وترك وراءه الملازم "جون" في عين صالح وبرفقته 30 جنديا و 30 قومي وفي يوم 1900/01/24 تمكنت من الوصول الى عين غار[3].

هذه المقاومة دفعت بوزير الحربية ان يصدر اوامره بالعودة الى عين صالح فوصلها يوم 1900/01/27، ومن هناك ظل تخطط لعمليات قادمة، وهكذا وفي ظرف قصير تم احتلال ايغلي بواسطة"برترون "BertRand" وفي يوم 1900/03/25 وصلها دوفيرتيه وانحدر مع واد زوزقانة، وتمكن من احتلالها يوم 1900/04/05 وبقوة عسكرية قدرت 75 ضابط و1775 رجلا. في الوقت الذي كان فيه الثوار لايبلغون هذا العدد ،ومن هناك اتجه طابور العقيد "او" (Eu) الى عين غار، بعد ان اجتمع في عين صالح وضم قوة هائلة قيادة" الباشا اوريس" الذي ارسله العرش المغربي لتنظيم المقاومة بالمنطقة،وبعد ان نظمت القوات الفرنسية نفسها كانت قد اعلنت عن هجومها 19مارس بقصف مدفعي كبير وهو ما دفع بالثوار الى التراجع وبه تمكن العدو من تحطيم جدران القصبة وقتل العشرات من السكان والمواشي ،وهو ما ارغم السكان على الاستسلام واقتحمت عين غار من جديد للمرة الاخيرة قامت باسر الباشا، ومن هناك توجهت القوات الفرنسية الى احتلال "تيت" وذلك يوم 23 مارس دون مقاومة، تذكر ويوم 25 مارس احتلت اقابلي – وهي تضم 5 قرى صغيرة – وفي يوم 28 مارس احتلت واحة من اجمل الواحات وهي تقع في جنوب شرق مدينة رقان[1].

[1] ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 109 ـ 112

المبحث الثاني: بعثة سير فلاترز من ماي 1880 الى ديسمبر 1881

كان نشاط الإنجليز التوسعي الاستعماري في افريقيا حافزا للفرنسيين ودافعا لهم لينشطوا اكثر لتوسع بالصحراء الكبرى، وبقرار من دوفيسيني (de freycinet) وزير الاشغال العمومية حيث جاء في رسالة هدا الاخير الى فلاترز[1]: "أكلفك بقيادة استطلاعية تحت حراسة الانديجان للبحث في تنظيم أولي لطريق السكة الحديدية يصل الى السودان والنيجر وبحيرة تشاد ولتقييم العلاقات مع ورؤساء التوارق والبحث عن مساندتهم وأدعوك بأن تعلمني في اقرب وقت قواعد التنظيم للرحلة والكيفية التى تحفظ بها الطابع السلمي للمهمة". وتضم هذه الرحلة عشرة أعضاء هم: العقيد فلاترز قائد للمشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط "موسون" (musson) نقيب الاركان الحرب "وبرانجة" (beringer) هندس الجسور والطرقات "وروش" (roche) مهندس لمناجم "برنار" (bernard) نقيب في سلاح المدفعية "جيارد" أو"غيارد" (Guiard) الطبيب و"لوشاتولييه " (le chatiler) و"بروسلار" (brosselard) مسيري الجسور والطرقات. وقد تم تعيينهم خلال شهر ديسمبر 1879[2]، بعد أن أخذت البعثة كامل استعداداتها عقدت أول اجتماع لها في بسكرة شهر فيفري 1880.

انطلقت البعثة من ورقلة يوم 21 ماي 1880 وضمت 11 فرنسيا وسبعة وأربعون جنديا من الاهالي واثنين وثلاثون سائق بعير وثمانية رجال الشعابنة وأربعة توارق، متوجهة نحو منطقة ميزاب ثم استقرت في تيماسين يوم 21 ماي من نفس السنة دخلت في محادثات مع زعماء التوارق الدين كانوا بالمنطقة، وعل راسهم "اهتيقال امينكول[3]" ثم غادرت البعثة بلدة "العاطف" واتخذت البعثة مجر وادي ميزاب خط سيرها الى ان وصلت مدينة "بني يزقن بغداية" والتي قدمت لهم الضيافة وبعد تجول البعثة في أحياء مدينة غرداية غادرتها يوم 28 ماي متوجهة

[1] فلاترز: ضابط مستكشف ولد في لافال في 16 ديسمبر 1839، توفي في الصحراء 16 فيفري 1881 ملازم ثاني عمل في المكاتب العربية كان جزء من اللجنة العليا لدلراسة طرق الاتصال بين الجزائر والسودان. انظر:

Paul flatters ; les deux missiones du colonel flaters en afrique ; d'après des notes de voyoges ; les journaux de route de colinelet les intrrogatroires subis par les survivante de le deuxième misson ; paris 1884 ; p 01

[2] ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 433

[3] من زعماء التوارق المتواجدين في الجنوب الغربي لجبال الهقار، ويشرف على توارق القسم الشرقي ايضا.

الى بلدة "بريان" التى قضت بها يومي 29و30، ثم واصلت طريقها الى ان دخلت مدينة الاغواط يم [1]

جوان على الساعة العاشرة صباحا وكان في استقبالها القائد الاعلى "بولا" belin الذي استضافهم عنده[1].وبعد هذه الرحلة عاد فلاترز الى باريس، حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي (transsahrien) والتي سلمت له الأموال اللازمة من اجل إعادة الكشوفات في الشتاء المقبل.

وبفضل هذا الدعم رجع فلاترز الى ورقلة، أين نظم رحلته الثانية إلى اقصى الجنوب الجزائري، واكتشاف بلاد التوارق ودراسة مشروع مد خط السكة الحديدية عبر هذه الفيافي، وظهرت هذه البعثة بمظهر الاستكشاف العلمي والسلمي .

وتضم هذه البعثة حوالي إحدى عشر فرنسيا وسبعة وأربعين جنديا من الاهالي، واثنين وثلاثين سائق بعير وثمانية من رجال الشعامبة للاستدلال عن المسالك، وأربعة توارق، ومجموعة من الجمال تحمل امتعتهم.

انطلقت البعثة من ورقلة يوم 08 ديسمبر 1880 باتجاه السودان إلى أن استقرت "بايزامن" ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881 وفي طريقه إلى بلاد التوارق كان قد بعث برسالة إلى امينكول على أمل اللقاء به عند بحيرة منقوع – تقع في منتصف الطريق إلى غات – وكتب إليه بعدة رسائل يستنجد فيها إلا أن رده كان في البداية سلبيا[2]، ولكن سرعان ما عززها برسالة أخرى وعده فيها بالاستقبال الحسن مع العلم أن القنصل الفرنسي العامل بطرابلس آنذاك كان قد حذره من مغبة السقوط في فخ التوارق إلا أنه لم يعير لهذا التهديد أي أهمية، ثم بدأت القافلة السير باتجاه "سبخة أوما دقور" وهي المدخل الرئيسي لبلاد السودان، وانحدرت مع "واد تاجيرت" نحوالجنوب الجزائري داخل نفق جبلي الى ان وصلت الى سهل منبسط ومغطى بالحجارة السوداء من مختلف الاحجام حيث لا يوجد اثر للنباتاو حيوان لذلك نبه الدليل رئيس البعثة فلاترز بأنه لا يعرف هذه الارض وانه لا يتذكر طريق السبخة ويجب ان يرجع الى المسالك المعروفة حتى لا تتيه البعثة، وهذا كله بحجة التضليل وبهذا سلكت البعثة مسار اخر وفي

[1] احميدة عميراوي، مرجع سابق، ص 72

[2] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق ، ص424

ظروف قاسية جدا –نفاذ الماء–واصلت البعثة سيرها الى ان عثرت على بئر نصبوا حوله خيامهم،وفي اليوم التاسع من شهر فيفري تحركت سالكة الهضاب والتلال الصحراوية، وبدأت شيئا فشيء تحتك بسكان التوارق الذين اظهروا لها نوعا من التذمر والاستياء لكنها لم تعبا بهم الى ان حطت رحالها يوم 16 فيفري عند سهل ملئ شاسع وصبت حوله مخيمها، ومن هناك اخذ فلاترز يبحث هو ورفاقه عن ما يعرف ببئر"الغرامة" أين كان ينتظرهم كمينا من التوارق المدججين بمختلف الاسلحة، ورغم إشهاره للسلاح في وجوههم فإنهم لم يعبئوا به فوقعة معركة عنيفة بين الطرفين قتل على اثرها فلاترز قرب بئر الغرامة وذالك يوم 18 فيفري 1881 على يد "**موسى اق امستان** "[1] وتفرقت البعثة بعد ذالك ولاحقهم التوارق فقتل البعض وفر الاخرون مات اغلبهم في الطريق عطشا ولم ينج منهم إلا القليل من الجنود الاهالي الذين رجعوا سالمين الى ورقلة، اين روَوا تفاصيل هذه الواقعة وهكذا كانت أحداث البعثة، بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية لمدة من الزمن وما لبثت ان انطلقت مرة ثانية بقوة وعزيمة نذكر مثلا رحلة الملازم "مرسال بالات" (marcel palat) والتي من خلالها اكتشف قصور تيدكلت لكنه قتل 1885 قرب عين صالح كما قام النقيب "مونتاي" (monteil) بجولة من سان لويس غربا الى طرابلس شرقا 1890 ضف الى ذالك المغامر الانجليزي" كامبيو دولس" (camlleDoulS) الذي قتل جنوب توات 1888 ونجاح البعثتين الفرنسيتين الى مجرى النيجر وهما بعثتي "توتيه" (toutee) وبعثة"هورست"(hourst) اللذان تمكنا من دراسة المجرى وإمكانيات الملاحة النهرية فيه من اجل الأغراض التجارية هذا ما شجع "فور" (foure)و"لامي" (lamy) على اكتشاف بحيرة تشاد انطلقت البعثة من ورقلة يوم 23 اكتوبر 1898 لتقطع حوالي الفين كيلومترعبر صحراء متوحشة وقاحلة، لتصل إلى تشاد وختم القرن التاسع(19) ببعثة "فلامون" (flamand) التي احتلت فرنسا بها "عين صالح"[2].

[1] ابراهيم مياسي، توسع الستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، مرجع سابق ، ص 64

[2] اندرينوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

- **القسم الجنوبي الغربي او(الجنوب الوهراني)**

ثورة الشيخ بوعمامة[1]:تخللت اسباب تفجير الثورة فيما يلي

1. تصادم مصالح الشعب الجزائري مع الاحتلال الفرنسي .
2. ايضا تشير بعض الدراسات الى ان اسبابها الرئسية ترجع الى انتشار الفقر والمجاعة في اواسط الاهالي هذا سهل عملية اخضاعه للهيمنة الفرنسية.
3. فشل مشروع السكة الحديدية عبر الصحراء في الجنوب الغربي لاقليم وهران خلال سنة 1879 اجبر الاهلي البعثة على التراجع ،وكرد فعل عزمت على اقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر "تيوت"وهو قرب زاوية بوعمامة فاشعلت نار الثورة في وجه المحتل ،كما وان فشل بعثة فلاترز في شهر فيفري 1881 من طرف التوارقوهذا ما أثرغيض المستعمر واراد الانتقام من السكان[2]
4. استياء تدمر القبائل الصحراوي منهم قبائل جبال القصور والبيض والتي منعت من التنقل بمواشيهم مما ادى الى موت مواشيهم من شدة البرد القارص
5. غزو فرنسا للقطر التونسي الشقيق مطلع 1881 والحوادث التي اعقبت الاحتلال من وقائع ملهمة تركت صدى عند بوعمامة[3]
6. ان الدعوة السنوسية المنتشرة عبر الصحراء التي ترمي الى مقاومة الاحتلال الاوربي للبلاد الاسلامية ،قد وصلت الى بوعمامة عن طريق مقدمها في عين صالح الحاج المهدي ولد باجودة .

---

[2] عبد الحميد زوزو:ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1908 ،(جانبها العسكري 1881-1883)،الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981،ص47

[3] هو محمد العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن ابراهيم بن التاج والمشهور بابي عمامة ولد في 1838 ،وقيل في 1848 بفقيق

7. كان لدعوة جمال الدين الافغاني ،وحركة السلطان عبد الحميد الثاني الداعيين الى جمع شمل المسلمين في اطار الخلافة الاسلامية.
8. اما السبب المباشر للثورة فيتمثل ةفي مقتل الضابط الفرنسي "وانيرونر " weinbrenner رئيس المكتب العربي لمدينة البيض 22 افريل 1881 مع واربع صبايحية حاولوا ايقاف نشاط بوعمامة واعتقال مبعوثيه وهما الطيب الجرماني ومرزوق بن السرور .

اندلاع الثورة ومراحلها:مرت بمرحلتين أساسيتين هما:

المرحلة الاولى :1881 –1883 بادر الشيخ بوعمامة الى دعوة مجلس الحرب للاجتماع ،ثم استنفر جميع القبائل الصحراوية بعد ان ارسل اليهم المبعوثين وقد وجدت هذه الدعوة صدى كبير من قبائل حميان وعمور والشعابنة ، اغتنم الشيخ بوعمامة فرصة غياب الجيش الفرنسي فاعلن الجهاد ،ولكن سرعان مابدأت السلطات العسكرية في تنظيم صفوفها ورصد طابور في منطقة طفاروا ليواجه زحف الثورة خلال الايام الاخيرة ،تحركت القوات الفرنسي من البيض يوم 14 ماي 1881 متوجهة الى بلدة المشربة وقبل الانطلاق الى سيدي الحاج بن عامر وجه العقيد برقية "اينوسنتي " الى الجنرال "كولينيون دانسي" الا انها وصلت متاخرة بسبب سير الطابور بكل اندفاع نحو الامام الى سيدي الحاج عامر، هذه البرقية كانت تسمح وترخص للقائد بالسير والتوغل في الصحراء حتى الشلالة اين يلتقي بالثوار ليقاتلهم او يرغمهم على الفرار[1].

نشبة المعركة واشتد القتال بين الطرفين فزعزعة مقدمة الجيش الفرنسي ،فاستغل الثوار هذه التفكك في خططهم العسكرية وحين اشتد القتال بالسيوف رجع المجاهدون الى نقطة انطلاقهم لتتحول المعركة ،الى اسلوب الكر والفر الامر الذي مكن الثوار من النصر رغم التافوت في العدة والعتاد.

[1] ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،ص 271-176

كان لهذه الهزيمة وقع كبير في الاواساط الاستعمارية التى منيت بالفشل الذريع حيث اذاقتهم مرارة القتال[1].

المرحلة الثانية : 1883-1908 ساد الثورة خلال هذه المرحلة لم يشهده من قبل، فقد استقر الشيخ بوعمامة بمسقط راسه، ثم بدا في اعادة تنظيم ثورته للمرحلة القادمة لذلك تخوفت السلطات الفرنسية وبعث الجنرال "سوسيه" قائد الفيلق ببرقية الى حكومته بباريس يطلب المساعدة وان بوعمامة يشكل خطرا عليهم غادر بوعمامة فيقيق والتجا الى واحات اقليم توات واحتمى بسكان واحة دلدول بمقاطعة تينقورارين مع نهاية سنة 1883واستقر الى غاية 1894اذ قام بتاسيس زاوية هناك وكان اهدا النشاط صدى واسعا لدى قبائل الصحراوية وخاصة قبائل التوارق الدين اقترحوا عليه الانتقال اليهم ليتعاونوا فيما بينهم للجهاد ومقاومة زحف الاحتلال العسكري[2] ،وانضمت اليه بعض القبائل المغربية منها على الخصوص دوي منيع واولاد جرير لكن فرنسا لم تنجح فيالقبض عاى الشيخ بوعمامة فقررت مهاجمته بالقوة بفقيق التضايق السلطان المغربي في تغير من موقفه لظغط على بوعمامة بل ويطالبه بالمغادرة ،فكان رد فعل الشيخ بوعمامة ان استنفر قوته وجند جيوش للكفاح المسلحوهنا بدات مرحلة جديدة وهي ان ثورة بوعمامة بدات في مواجهة الحكمة المغريبة وذلك بانضمام الشيخ بوعمامة لثورة الجيلالي الروقي الزرهوني الملقب باني المطالب بعرش الغرني وطيلة السنوات الباقية من حياة بوعمامة قضاها في الجهاد تارة في الهدوء وكل دلك تحت مراقبة ومحاصرة القوات الفرنسية بقيادة الجنرال ليونيقائد المغرب الاقصىوأخيرا التجا الشيخ بوعمامة إلى ضواحي وجدة بزاوية راس بورديف قربعين سيبدي ملوك حيث وافته المنية في 7من اكتوبر 1908ودفن هناك[3]

[1] نفس المرجع السابق، ص 281 _ 303

[2] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 303 _ 308

[3] ابراهيم مياسي، المرجع نفسه ، ص 453

- **التوسع في اقصى الجنوب "احتلال اقليم توات"**

- **احتلال اقليم تيديكلت:** تقع منطقة تيديكلت في اقصى الجنوب الجزائري بين خطي عرض 25°- 30° شمالا، وخط طول 1° غربا و 6°شرقا، يحدها من الشمال هضبة تادميت ومن الجنوب هضبة الهقار ومة الجهة الشرقية واد غرغارن ومن الناحية الغربية تحدها منطقة توات وصحراء تانزروفت[1].

هذا الموقع الجغرافي الغني بمصادر مياهه الجوفية ووفرة خيراته الاقتصادية وثرواته الباطنية اصبح محل اهتمام السياسة الاستعمارية الفرنسية والشركات الغمومية المختصة بمد خطوط السكك الحديدية لربط المنطقة اقتصاديا بالجزائر الشمالية لهذا فالجنوب الوهراني حلقة وصل بين الجزائر نحو اروبا ومستعمرات فرنسا في السنغال، وبناء على ماقامت به البعثات العلمية والاستكشافية فان الدراسات المعمقة عن مردود المنطقة هو ما لفت انتباه العلماء والجواسيس ورجال البعثات العسكرية والتبشيرية[2].

- **إحتلال عين صالح:** بعد نجاح الجنرال "توماسين" (thomassin) في مصالحة "اولاد سيدي الشيخ" عمل على استقرار الوضع في المنطقة بتثبيت السكان والخاصة القبائل المرتبطة بهذه العائلة الدينية، اهتمت السلطات الفرنسية منذ سنة 1884 بانجاز العديد من المشاريع بعد ان حصلت على مساعدات مالية من مجلس النواب الفرنسي من اجل تثبيت اقدامهم في المنطقة وهذا بعد ان الحقت منطقة "ميزاب" بنفوذها[3]وايصال الخط الحديديالى عين الصفراء، لقد استعمل الاستعمار الفرنسي اساليب متعددة للاحتلال، فمنذ سنة 1889 احتلت القوات الفرنسية الصحراء بالطرق السلمية وذالك باقامة المؤسسات الاقتصادية وانشاء المراكز التجارية في كل من توات وتيديكلت[4]. كما بدات

[1] المرجع نفسه :ص 454

[2] المرجع نفسه، ص 454

[3] Carrot; histoirregènrale d'lagèrie; algar; crxenzo 1910; p 998 _ 999

[4] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 454

التكثيف من دراستها لهذه المناطق للتعرف اكثر على جوانبها البشرية والجغرافية والمائية والاقتثادية، وقد ارسل لهذا الغرض الاستاذ "فلامون" لانجاز ابحاثه ودراساته حول الجنوب البجزلائري، وهو مختص في العلوم الجيولوجية، لم تتخل فرنسا عن اسلوبها العسكري العنيف في التوسع فانشات سنة 1891م مركزا عسكريا دائما "بالمنيعة" استعدادا للسطو على عين "صالح" وواحات توات التي وصفها "جيل كامبون" بانها: "ملجا للثوار ولبوعمامة الذي التجا اليها بحثا عن المساعدة وتاليب القباتئل ضدنا". كما عملت السلطات الفرنسية عل استمالة السي قدور بن حمزة زعيم اlولاد سيدي الشيخ اليها ليساعدها على احتلال واحات توات، وقد حاولت السلطات المغربية عدة مرات اخضاع منطقة توات لحكمها لكنها لم تتمكن من ذالك، وشرعت السلطات الفرنسية في الجزائر منذ 1893م في تشييد الحصون المنيعة منها "حصن مريبال" في حاسي الشبابية، وحصن "مكماهون" في حاسي العمار[1].

تعتبر هذه الحصون والمراكز نقاط ارتكاز ومنطلقات امامية ثابتة لحركة الزحف والتوسع الاستعماري في الجنوب الوهراني بصفة خاصة. وفي 31 اوت 1898 وصل الى الجزائر الوالي العام الجديد السيد "فريار" لتقلد مهامه في الجزائرالعامة، وقد اظهر منذ البداية اهتماما متزايدا لعملية التوسع نحو الجنوب الوهراني ومنطقة "توات" وعمل والي الجزائر العام الجديد على ازالة كل العراقيل لاتمام مشروع التوسع في المنطقة المذكورة وقد شرع في انجاز هذا المشروع بداية من سنة 1890م بل وربما منذ 1864م[2].

معركة الفقيقيرة: لقد فتحت البعثة العلمية للاستاذ فلامون الى عين صالح افاقا واسعة امام المشروع الاستعماري الفرنسي وامام التكالب الاروبي على افريقيا من اجل تقسيمها واخضاعها للهيمنة الغربية، انطلاقت البعثة في خريف 1899 واخذ المشروع طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على احوالها الجيولوجية والنباتية وامكانيات مياهها الجوفية وغيرها الا انها

[1] ابراهيم مياسي :مرجع سابق ،ص 45

[2] نفس المرجع ، ص 458

تحولت في الاخير الى حملة عسكرية شرسة. اشرفت وزارة المعارف العمومية وشؤون المستعمرات على هذه الرحلة ودعمتها الحكومة بميزانية خاصة اثر طلب والي الجزائر العام لافريار كما امرت بالحكومة النقيب بان pein الذي كان يتراس المكتب الغربي بورقلة بحماية هذه البعثة من خلال قيام فرقته العسكرية.واعطى وزير الحرب اوامر الى النقيب جرمان germain التحرك مع فرقته المتكونة من الصبايحية الصحراوية صوب اتجاه مسير البعثة لحمايتها وقت الحاجة، غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899 متجهة الى عين صالح واتبعت في البداية طريق الرحلة الاولى (فلاتيرس) والتي سلكها 1880 ودونها في مذكراته فاستفادت منها هذه البعثة[1]. وصلت هذه الحملة العسكرية الى حاسي اينغل في يوم 9ديسمبر 1899 وانتقلت الى حاسي سوقي لتلتحق بحاسي المقر ومنه الى رق اجمار و وادي مسين،اما يوم 26ديسمبر وصلت البعثة الى فقارات الزوى ثم في الغد التحقت بواحة ايقسطن، اكتشف اهالي عين صالح ونواحيها نوايا هذه البعثة فاستعدو للكفاح والمقاومة وبادروا بالتحضيرات اللازمة للمعركة وما ان علم سكان عين صالح بوصول العدو الى الفقيقرة حتى تجمعوا تحت قيادة الحاج المهدي باجودة[2]. وحملوا اسلحتهم وعتادهم الحربي التحم الجمعان اثناء المعركة بالفقيقرة. استمرت المعركة حامية الوطيس حتى الساعة العاشرة صباحا حيث جرح قائد المجاهدين الحاج المهدي باجودة جروحا بليغة لكنه استشهد، ومن بين اعيان عين صالح الذين استشهدوا نذكر ابن المهدي باجودة واخيه بوعمامة وكذلك ديدي محمد الغربي ...الخ. وبعد هذه المعركة الضارية ورجوح كفة الفرنسيين سيطر النقيب بان على الموقف خاصة بعد ان تدعمت البعثة بفرقة الصبايحية تحت قيادة النقيب جرمان لهذا استطاعت القوات الفرنسية ان تواصل سيرها وتدخل القصر الكبير لتستقر بقصبته بعض الوقت ريثما تستريح وتواصل احتلال باقي قصور عين صالح[3].

[1] نفس المرجع ، ص 459

[2] هو المهدي بن الحاج عبد القادر بن محمد بن سيد الحاج مقدم الزاوية السنوسية بعين مالا، ولد حوالي 1854 بعين صالح. لتوسع انظرابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنيس للصحراء الجزائرية :مرجع سابق ،ص505

[3] ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 463

معركة الدغامشة: ما ان تمكنت ان القوات الفرنسيةمن الدخول الى عين صالح واتخذت من قصبة باجورة مركزا لهم، وبعدما رفعوا فوقها العلم اللفرنسي راى سكان عين غار (اينغر) وبقية القصور المجاورة كاقبلي وتيط واولف ان الخطر مشترك فانضموا الى بقية الاهالي لصد العدوان الفرنسي على حياضهم و الدفاع عن ممتلكاتهم، فارادوا الانتقام لشهداء معركة الفقيقرة وتجمع المجاهدون بعين غار التي تبعد عن عين صالح بحوالي 65 كلم وبدا الزحف بقيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس يوم 4جانفي 1900 وتمركزوا بقرية البركة بحيث قضو ليلتهم هناك يتشاورون في وضع خطة للدفاع عن وطنهم لكن للاسف بينما هم يتشاورون واذا بالعملاء و الجواسيس يسترقون السمع ليبلغو خطة المجاهدين لقوات الاحتلال الفرنسي فتحصنت القوات الفرنسية بالكثبان الرملية الواقعة جنوب عين صالحفتشب المعركة بينهما يوما كاملا وتمكن العدو من معرفة امكانيات المقاومين، رجح كفة الفرنسيين مرة اخرى فانسحب المجاهدون الاحياء من الميدان لمعاودة الهجوم بعد استنفار النجدات من القصور المجاورة، والتصدي مرة اخرى للعدو، بعد هذه المعركة تعرضت البعثة لهجومات متكررة طيلة مكوثها باقصر الكبير لذلك قرر الوالي العام لافريار تدعيمها بقوات اضافية فامر الرائد بومقارتان Boumgartinالقائد الاعلى لدائرة المنيعة بالتحرك نحو عين صالح[1].

وصلت الفرقة الى القصر الكبير يوم 18جانفي 1900 واندمجت مع بعثة فلامون لترجح كفته ضد الثوار وتقضي على المقاومين فتمكنت البعثة من مواصلة سيرها وبسط نفوذها على كامل عين صالح، بعد انتهاء فلامون من مهمته استقبل بمدينة الجزائر استقبالا رسميا من طرف السلطات المحلية كما استقبل من طرف الوالي العام ، كما كانت بشرى حلول القرن 20 بالنسبة للاستعمار الفرنسي في الجزائر، احتلال مدينة عين صالح التي طالما سعت السلطات الفرنسية لضمها إلى بقية مستعمراتها الصحراوية نظرا لاهميتها في عمليات التوسع في الجنوب واحتلال اقليمي توات والهقار[2].

[1] المرجع نفسه ، ص 463 _ 465

[2] ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي في الصحراء مرجع سابق، ص 466

اخضاع منطقتي تينقورايين وتوات:

إستمرت القوات الفرنسية في توسعها الاستعماري فاستمرت يوم 27افريل 1900 طابور العقيد مينسترال Menestrel لاخضاع قصور منطقة تينقورارين الواقعة بشمال اقليم توات الذي يحيط به العرق الغربي الكبير من جهة الشمال الشرقي وهضبة تادميت من الشرق والجنوب والحوض الشرقي لوادي الساورة من الغرب.

من اهم قصور تينقورارين[1] ، قصور تبلكوزة وبها اربعة عشر قصرا، قصور طلمين وبها ستة قصور،قصر دلدل وبها ثلاثة عشر قصرا، قصور الدغامشة وهي خمسة قصور من تينقورارين الجنوبية، قصور تبيت (تبايت) و بها عشرة قصور.

بدا زحف القوات المجاهدين بكل عنف وقوة وقد انطلقت من المنيعة بحيث قاومه سكان تينقورارين وتصدوا لهذه الهجوم واوقفوا زحف الجيش الفرنسي مما اضطر قائد الجيش إلىطلب المدد الذي جاءه على جناح السرعة من البيض بحيث رجحت كفةالجيش الفرنسي على قوات المجاهدين وبذلك استطاعت القوات الفرنسية ان تدخل إلى عاصمة المقاطعة وهي مدينة تيميمون[2] يوم 12 ماي 1900، ومع ذلك لم تخضع كل المنطقة لنفوذ القوات الفرنسية لهذا استمر الضابط منيسترال في اخضاع بقية القصور المنتشرة الى ان دخل قصور زوا و دلدل يوم 31 ماي 1900. بحيث تم السيطرة على اقليم توات وذلك باقتحام طابور الجنرال سرفيار Serveire قائد الشعبة العسكرية لاقليم الجزائر لكل من تيديكلت وتسوات وتينقورارين من 21 ماي الى 18 اوت 1900 [3]، غادر عشية يوم 12 جويلية 1900 الطابور الفرنسي عين صالح متوجها الى عين غار ثم اولف بحيث واصل الطابور طريقه عين غار ثم غادر يوم 16 جويلية الى قصر تيط ثم انتقل الى اولف يومي 18 و19 لان اولف تتكون من مجموعتين هما

[1] تفيد ما اشتمل عليه اقليم توات

[2] تيميمون : هي ام القرى "منطقة تينقورا رين"، وتقع على بعد 184كلم من ادرار الى الشمال على الطريق التي تربط المنيعة ومقاطعة غرداية بـ اقليم توات وسكان تيميمون بها 3000ن بنيت في السفح الشمالي لهضبة تادمايت على الطريقة السودانية مثلها في ذلك مثل ادرار و عين صالح.

[3] ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 481

اولف العرب في الجنوب و اولف الشرفة في الشمال،استقر بهما الطابور الفرنسي لاكثر من يوم، يجمع كل المعلومات عن اصل السكان و تركيباتهم الاجتماعية[1].

وفي 21 جويلية غادر الطابور اولف العرب ليلتحق بمقاطعة رقان التي تقع باقصى جنوب منطقة توات، تحركت القوات الفرنسية صوب الاقليم المرتقب احتلاله منذ فترة طويلة وهو اقليم تسوات حيث اخذ الجميع الطريق الطويل نحو الغرب من عين صالح الى عين شبي وهي الحد الفاصل ما بين تيديكات و تسوات واثناء الطريق اعترض الطابور في طريقه قافلة صغيرة من تاويرت لاهل اولف وكادت ان تحصل بينهما اشتباك مسلح لولا تدخل الدليل الذي عرفهم وطمانهم ، لهذا تقدموا من الطابور وارتقبوا من القائد سرفيار واعلموه ان رقان وسالي وزاوية كنته في انتظار وصولهم. جهزت السلطات الفرنسية لاحتلال تينقورارين وتسوات طابورين كبيرين احدها تحت قيادة الجنرال سرفيار والثاني ينطلق من تيديكلت، بحيث يلتقي مع الطابور الذي انطلق من تيميمون قامت القوات الفرنسية بارهاب السكان لقبول الامر الواقع وزحفت على القصور والقرى حتى دخلت الى اقليم توات ادرار في قبضة القائد الفرنسي يوم 10 فيفري 1901، وبذلك اخضعت منطقة وادي الساورة وتنصيب الحاميات العسكرية بها تمهيدا للاحتلال دائم وشامل[2].

اخضاع منطقة الساورة:

عين السيد شارل جونار Charles jonnart الخبير بالشؤون الاهلية على راس ولاية الجزائر العامة، وذلك يوم 11ماي 1903 فكانت من اهم اولوياته هو تنفيذ وتطبيق سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب، تعرض شارل جونار لهجوم قام به سكان زناقة في فيقيق وكان الرد شرسا من قبل القوات الفرنسية التي بدات تنصب جام غضبها وحقدها على القصور وهذا يوم 08 جوان مما اضطر اهله الى طلب الامان من الحكومة الفرنسية فمنحتهم اياه[3].

عينت السلطات الفرسية العقيد ليوتي Lyauty الخبير بشؤون المنطقة على قيادة عين الصفراء لضمان وتاكيد السيطرة الفرنسية على الجنوب الوهراني. وحراسة بوعمامة على الحدود وكذلك

[1] ابراهيم مياسي:مرجع سابق ،ص 481

[2] ابراهيم مياسي :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع السابق، ص494

[3] ابراهيم مياسي :مرجع سابق ،ص 496

من اجل مراقبة نواحي "اولاد جرير وضوي منيع في حوض زوزفانة"وتمكين القوات الفرنسية من الاحتلال الشامل لاقليم توات وتمكنت السلطات الفرنسية من اجتياز جبل بشار والسيطرة عليه 1903 ،ومنه تمكنت من احتلال كولومب بشار ونصبت فيه مركزا واصبحت عاصمة المنطقة ،1904 قامت بانشاء السرايا الجديدة لمواجهة غزو القبائل لها ،وفي اخر سنة 1904 اجتمعت قوة من" شعانبة بوعمامة والبربرية "مسلحة احسن تسليح ،حيث قامت في يوم 11 ديسمبر بالهجوم على دورية من الكتيبة الصحراوية" لتينقورارين "وبعد يومين هاجمت قافلة البيض لذلك استقرت القوات الفرنسية في بني ونيف وبشار وبني عباس وتيميمون واستمرت المطارة اكثر من 20 يوما ولم تستطيع القوات الفرنسية اللحاق بهم ،ومامیز عام 1905 كثرة العمليات الاستكشافية المتوالية قصد بالتعرف على آبار الماء والقصور منها عرق الراوي في جوان 1905 ضف الى المشاريع التي تخدم المستعمر مثل مد خط السكة الحديدية الرابط بين بني ونيف وبشار لتسهيل وصول الامدادات العسكرية والغازية والؤن والذخيرة [1]، وفي مستهل 1906 قامت القوات الفرنسية بهجوم مفاجئضد شعانبة الشيخ بوعمامة التي كانت تقلق القوات الفرنسية ان التنظيمات التي قام بها "ليوتي"في الجنوب الوهراني منها انشاء نقاط مراقبة في بشار لضمان الامن في زورقانة وغيرها ،على اثر انتقال الشيخ بوعمامة الى عمالة وجدة والاجراءات اللازمة لمواجهتها ،عملت السلطات الفرنسية على تقريب السي الطيب ولد بوعمامة اليها لتطمئن قبائل الحدود وبذلك ظهر نوع من الهدوؤ النسبي وبدات بعض القبائل تنضوي تحت امرت الاحتلال الفرنسي مع ازدياد عمليات التبادل التجاري[2]

[1] المرجع نفسه ،ص 497-498

[2] نفس المرجع السابق، ص 501

المبحث الثالث:انعكاسات التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية(المناطق التي تمكن من الوصول اليها)

اولا ـ النتائج المادية والعسكرية

- **تحليل الجدول رقم (01)**

من خلال الـــجدول (رقم 1) ترتب عن احتلال الصحراء مجموعة الخسائر المادية والعسكرية يمكن اجمالها في النقاط التالية[1]:

عملية التوسع كانت بطيئة جدا،مقارنة ببلاد الشمال وهذا بسبب المقاومة التي واجهتها قوات الاحتلال من طرف سكان الجنوب.

- شمولية عملية التوسع حيث امتدت من الشرق الى الغرب،ومن الغرب الى الشرق قصد القضاء على اي شكل من اشكال التعاون بين الطرفين.
- عدم حرمة الاماكن المقدسة،والعمل على تدنيسها كنسف" قبة سيدي الشيخ" وهذا بسبب طبيعة التشكيلة العسكرية التي كانت في معظمها من الجنود المرتزقة اللقطاء.

- **تحليل الجـــــدول رقم(2)**

من خلال الجدول (رقم2)ترتب عن احتلال الصحراء مجموعة الخسائر المادية والعسكرية يمكن اجمالها في مايلي[2]:

-كثرة الخسائر من الجانبين بين قتلى وجرحى واستشهاد رموز المقاومة من مرابطين واشراف،والعديد من القادة الفرنسيين ورتب مختلفة .

2-كثرة الجزائريين الذين استشهدوا وعدد لايحصى من الجرحى هذا فضلا عن ضحايا العديد من الانتفاضات والثورات ،التي لم يتسنى لنا المقام لذكرها.

[1] انظر الملحق رقم 01، ص 89

[2] انظر الملحق رقم 02، ص 90

ثانيـــا :النتـــــــائج الاقتصـــــــادية

قبل التطرق الى هذه النتائج نود الاشارة الى الوضع الاقتصادي الذي كان سائد في احدى اهم المناطق الصحراوية "فاندري نوشي" يذكر في احدى مؤلفاته وصفا رائعا لأهل القصور هذا النص:"...لقد كان القصوريون يتعهدون بمهمة السواقي الموزعة، انطلاقا من الاودية والعيون، ويفلحون قطع الارض البدوية فيغرسونها اشجارا مثمرة على السهول الكبرى، ونخيلا وأشجارفي جنوب الاطلس...اما في الواحات الشمالية فكان المناخ يسمح لهم بالزراعة البعلية للشعير في ارض العروش"،اما من ناحية الصناعية التي كانت منتشرة انذاك في القصور بالجنوب الجزائري يقول "اندري نوشي" في هذاالصدد"... فلقد كانت الصناعات التقليدية منتشرة في القصور والشوارع كالحدادين،وباعة الاسلحة والبرازنة وتجارة المصوغ من يهود الابيض والصباغين والنجارين...وفي سنة 1890 كان بالميزاب 6000 من صناع الزرابي..."[1]

اما من ناحية العلاقات التجارية فهي الاخرى كانت مزدهرة جدا وهنا يشير الدكتور يحي بوعزيز في احدى دراساته الى ذلك من خلال تعداد الطرق التجارية الرئيسية،إلا انه ومن خلال سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ادت الى تراجع اقتصاد وأهمية الصحراء الحيوية،ونجمل ذلك في نقاط:

1. استنزاف الثروات الباطنية لان المستعمرين اخذوا على عاتقهم مهام التنقيب عن الآبار،من اجل الحصول عن الماء عن طريق حفر الآبار"الارتوازية" في العديد من المناطق الصحراوية،ومن بين هذه المناطق نذكر"واد ريغ" "والزيبان" التي ارتفعت بهما كميات المياه المستخرجة من 53000 لترا سنة 1856 في الدقيقة الواحدة كل هذا في حيز جغرافي ضيق لايساوي 10 بالمئة من المساحة المخصصة له.
2. تنمية الفلاحة المضاربة التي تحصلت على فوائدها الشركات الرأسمالية مذ سنة 1880،وبهذا بفضل بعض المسلمين الذين كانوا عملاء لدى العدو، مقابل الحصول على بعض الامتيازات والمناصب [2].

[1] اندري نوشي واخرون، مرجع سابق، ص 382

[2] يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائرفي الملتقيات الوطنية و الدولية، مرجع سابق، ص 111 _ 120

3. الاستغلال الغير العقلاني للثروات المعدنية الباطنية مثل منجم الفحم الحجري،المتواجد بمنطقة القنادسة ببشار الذي بلغ نسبة انتاجه حوالي 2000 طنا.
4. القضاء على تجارة القوافل،وذلك من خلال انشاء العديد من الطرقات بجانب الخطوط الحديدية، واصبح نقل البضائع يتم عن طريق الشاحنات والعربات،وهذا ادى إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب ناهيك عن تراجع العديد من المنتوجات بسبب المنافسة الاوروبية، وهذا لاحظ بشكل جلي عند السكان القاطنين في الجنوب الغربي الجزائري الى ممارسة التجارة الخفية،وهذا ما جعل الفرنسيون يلجاون الى سن عملية الحجز الاقتصادي للسلع،او البيع في الزاد العلني[1].
5. القضاء على الثروة الحيوانية التي تراجعت بنسبة تقدر بـ80 بالمئة. بسبب نظام العشابة الذي فرضته عليهم السلطات الفرنسية على مربي المواشي،ناهيك عن سنوات القحط والجفاف والاوبئة، بالاضافة النهب والسلب ،كل هذا ادى تلاشي هذه الثروة بشكل تدريجي.
6. ارهاق كاهل السكان بالضرائب والغرمات المالية خاصة اثناء الحرب، وهذا مانعكس سلبا على الاقتصاد ففي منطقة الزاب مثلا وبموجب معاهدة 1853فرض العدو على سكانه ماقيمته 45000 فرنك ذهبي، لترتفعسنة1919 الى حوالي 13500 فرنك[2].

كل هذه الضرائب والغرمات المالية التي فرضت من اجل الاعتراف بفرنسا، وابعادهم عن المقاومة المسلحة القائمة ضدهم بالجنوب الجزائري[3] ،انظر الجدول التوضيحي لأهم القبائل والأعراشالتي تعرضت لظلم "دائرة بسكرة نموذجا".

[1] اندري نوشي واخرون، مرجع سابق، ص 401

[2] المرجع نفسه، ص 405

[3] ابراهيم مياسي، السياسة الفرنسية للصحراء الجزائرية، مرجع سابق ،ص 140

بالاضافة الى الغرمات يوجد عقوبات السجن المؤبد لمدة اقصاها 20 سنة مع النفي الى كورسيكا، كل هذا انعكس سلبا على حياة المواطنين الذين اصبحوا عاجزين عن مباشرة نشاطهم، مما اضطرهم الى بيع املاكهم وأنفسهمبأثمان زهيدة هذه الاوضاع أثرت على الحياة الاجتماعية للسكان من هنا نطرح التساؤل التالي هل كان للسياسة التوسعية الفرنسية تأثير على المجتمع في جنوب الجزائر؟.[1]

ثالثـــا: النتائـــج الاجـماعيـــة

قبل الحديث عن الاثار السلبية التي مست المجتمع الجزائري في الجنوب يجب الاشارة اولا الى طبيعة هذا المجتمع،الذي هو الاخر يمثل قطعة فسيفسائية، رائعة جدا ويتجلى ذلك من خلال عديد التشكيلات الاجتماعية التي يتكون منها ومن تنوع مصادره الثقافية والدنية العريقة جدا، وهو في عمومه عبارة عن قبائل كثيرة منتشرة، عبر اقاليم المناطق الصحراوية، هذه القبائل لها نسيج اجتماعي راق جدا يبدأ من شيخ القبيلة وينتهي بأخر فرد فيها،والشيء الملفت للانتباه هو سيطرة الطابع الروحي على هذا المجتمع الذي تعددت انتماءات افراده الروحية الى الطرق الصوفية والزوايا التي كانت منتشرة هناك[2].

ومن حيث العلاقات الاجتماعية فهو متماسك جدا،نظرا لتلك الروابط التي تربط ا فراده خاصة منها الانتماء الروحي وروابط المصاهرة التي كانت تنشأ بين الحين والاخر، بين بعض القبائل الرحل والسكان المستقرين في الواحات والقصور، على سبيل المثال نسجل ذلك الصراع الذي كان قائم بين قبائل "حميان"

[1] يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر من الملتقيات الدولية، مرجع سابق، ص 127

[2] ابراهيم مياسي، السياسة الفرنسية للصحراء الجزائرية، مرجع سابق ،ص 112

المتنقلة وسكان مدينة ورقلة لان هذه القبيلة كانت تهجم بين الحين والاخر، خاصة وقت جني محصول التمور، وتستولي على كم هائل منها ونظر لشدة بأس هذه القبيلة اضطر السكان الى مهادنت قوات الاحتلال الفرنسي مقابل توفير الامن[1].

ان الوحدة والتماسك الذي اتسم به المجتمع الجزائري الصحراوي جعل فرنسا تتأخر في عمليات التوسع في الجنوب عشرات السنين وأمامهذا التماسك والتضامن اتبعت فرنسا في عملية

توسعها اساليب متعددة نذكر منها[2]:

1. تفتيت المجتمع وتقسيمه الى ثلاثة اقسام ،قسم اعترف صراحة ولاءه للمستعمر في شكل عملاء،وقسم اعلن رفضه التام للاستعمار،وأخيرا قسم محايد وسرعان تخلت عن القسم الاول بعد قضاء مصالحها.
2. اثارة النزاع والشقاق بين الاسر الكبيرة مثل النزاع الذي كان بين عائلة بوعكاز ابن قانة في منطقة بسكرة والأوراس،وعند اولاد سيدي الشيخ،هذه النزاعات ساهمت بشكل كبير في تمزيق روابط هذه الاسرة.
3. النفي والابعاد الذي استهدف الكثير من العائلات وشيوخ الزوايا ،وبعض مقدميه من اولاد عبيد بدائرة باتنة العسكرية وهم:"السي الهاشمي بن السي علي بن دردور،عمربن يوسف، محمد امزيان بن نارة[3].
4. ضف الى ذلك تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل رهيب ادى الى تفشي ظاهرة الفقر المجاعة والامراض،خاصة بعدما صدرت كل ممتلكاتهم،على اثره تناقص عدد سكان الواحات

[1] حميدة اعميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، سنة 2002، ص 128

[2] ابراهيم مياسي، السياسة الفرنسية للصحراء الجزائرية، مرجع سابق ،ص 148

[3] عبد الحميد زوزو ، ثورة بوعمامة 1886 _ 1908 جانبها العسكري 1881 _ 1885 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 51 _ 52

مثل قورارة وتوات وتيديكلت الذين كانو في حدود مئة الف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن 19 ليصبح تعداد السكان عام 1906 لايتجاوزالستين الف نسمة.

خاتمة الفصل:

وخلاصة القول انه وبفضل البعثات الاستكشافية استطاعت التوسع في وسط الصحراء ونجمل القول خاصة بعثة العقيد فلاترز الذي قام برحلتين الاولى استطلاعية قصد التعرف على المنطقة والثانية من اجل انجاز مشروع السكة الحديدية الرابط بين الجزائر والسودان هذا الطريق الذي كان بمثابة الجسر الرابط بين مستعمرات فرنسا في الشمال والجنوب وبه استطاعت الوصول الى ابعد نقطة لكن هذا حدث في فترات زمنية متباعدة،بسبب المقاومات العنيفة التى تلقوها من طرف السكان والمقاومات الشعبية ،ونتج عن هذا التوسع عدة نتائج منها الاقتصادية من خلال استنزاف الثروات الطبيعية بمختلف وانواعها وكذا النتائج المادية والعسكرية المتمثلة في الخسائر البشرية والمعنوية ناهيك عن النتائج الاجتماعية مثل ثارة النزاع بين العائلات الكبرى والنفي والهجرة ،هذا كله ساهم الى حد بعيد في السيطرة التامة على منطقة الصحراء .

خاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية لم يكن وليد الصدفة بل كان تخطيطا مبرمجا منذ زمن بعيد ؛حيث أن هذه العملية قد بدأت منذ القرن السابع عشر بإرسال رجال الدين والمبشرين المسيحيين والمغامرين والمستكشفين إلى المناطق الصحراوية الهامة أمثال"رونيه كاييه ،وهنري بارت، ودووكولومب، ودوفيرييه،ورولف،وبول سوليبه وفلاترس،وفلامون" وغيرهم،الذين تقمصوا شخصيات متعددة كعلماء الجيولوجيا،أونبات ،وأطباء أوقادةعسكريين مسالمين وما إلى ذلك لكي يخفوا نواياهم المبيتة ،وقد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن اكتشف سكان المنطقة أمرهم ،وبعد أن قاموا برحلاتهم وجالوا في أرجاء الصحراء قدموا تقاريرهم عنها حثوا فيها الدول الأوروبية عامة وفرنسا خاصة على احتلال هذه الأراضي الغنية بالثروات المعدنية ،فضلا عن أنها مناطق إستراتيجية بالغة الأهمية لأنها تمثل حلقة وصل وربط بين أجزاء إفريقيا الواسعة لذلك عزمت فرنسا على احتلال الصحراء،وبدأت قواتها تكتسح هذه المناطق خلال الربع الأخير من القرن الماضي ،ولكنها اصطدمت في طريقها بمقاومة باسلة وعنيفة من طرف الأهالي كمقاومة أولاد سيد الشيخ (بوعمامة) ،مقاومة الشعانبة وأهل توات ...وغيرها. ونظرا لقلة إمكانيات هذه المقاومة وعدم التنسيق فيما بينها وتحديد أهدافها فإنها فشلت أمام الضربات المتتالية للإحلال الفرنسي وتمكنت القوات الفرنسية تدريجيا من السيطرة ابتداءا من سنة1881، وقد اتبعت عمليات التوسع بمد خطوط السكة الحديدية لتستعين بها في نقل قواتها بسرعة وتمويلها بالأسلحة والذخيرة والمؤن حتى تتمكن من القضاء على المقاومين و مد نفوذها واحتلالها لهذه المناطق ،كما ظهرت فكرة مد خط حديدي عابر للصحراء على غرار الخط العبر لكندا الذي أنشئ ما بين 1878-1886 على مسافة 4700كلم مربع والخط العابر لسيبيريا 1891-1898 على مسافة 7500كلم مربع ولكن سرعان ما تبخرت هذه الفكرة بعد أن قضي على بعثة العقيد "فلاترس" سنة 1881رغم المحاولات العديدة لبعث المشروع من جديد ،عملت السلطات الفرنسية عل خلق المشاريع الإستدمارية التي تخدم مصالح المعمرين من ناحية وتؤكد وجودها من ناحية أخرى وعرفت الجزائر خلال هذه الفترة

أقصى درجات الحرمان والبطش ،حيث خلقت فرنسا الشروط التشريعية لكي تستولي على كل مظاهر الحياة الاقتصادية في الجزائر ،وتقوض أركان الاقتصاد الوطني الجزائري تدريجيا ليحل محله الاقتصاد الاستعماري ،وإثقال كاهل الأهالي بفرض الضرائب العربية لنهب ما بقي للأهالي من وسائل العيش ولتجعلهم أجراء ،يشتري المستعمرون قوة عملهم بأجور زهيدة لاتسمن ولا تغني من جوع ،كما حرمتهم من كل الحقوق وعاملتهم وكأنهم أجانب في وطنهم.

وبالعودة إلى الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية فإننا نبدأ من بوابة الصحراء بسكرة حيث تمكنت القوات الفرنسية من بسط نفوذها على المنطقة فاحتلت بسكرة وقامت ثورة الزعاطشة كرد فعل على ذلك ،وبعد التفرغ من الزيبان توجهت الأنظارإلى بوابة أخرى للصحراء وهي الأغواط وقد أظهر أهلها مقاومة باسلة ومستميتة،ثم إلى جهة وادي ريغ ووادي سوف ثم واحات ورقلة ثم غرداية.

ثم توجه الاحتلال الفرنسي إلى الجنوب الغربي وهذا خلال الربع الثالث الاخير من القرن التاسع عشر ميلادي و اصطدم بمقاومة عنيفة من طرف الأهالي بزعامة الشيخ بوعمامة،والذي انتهى باحتلال تديكلت وتوات.

الملاحق

خريطة تقسيم الأهقار رسمها ديفوكو[160]

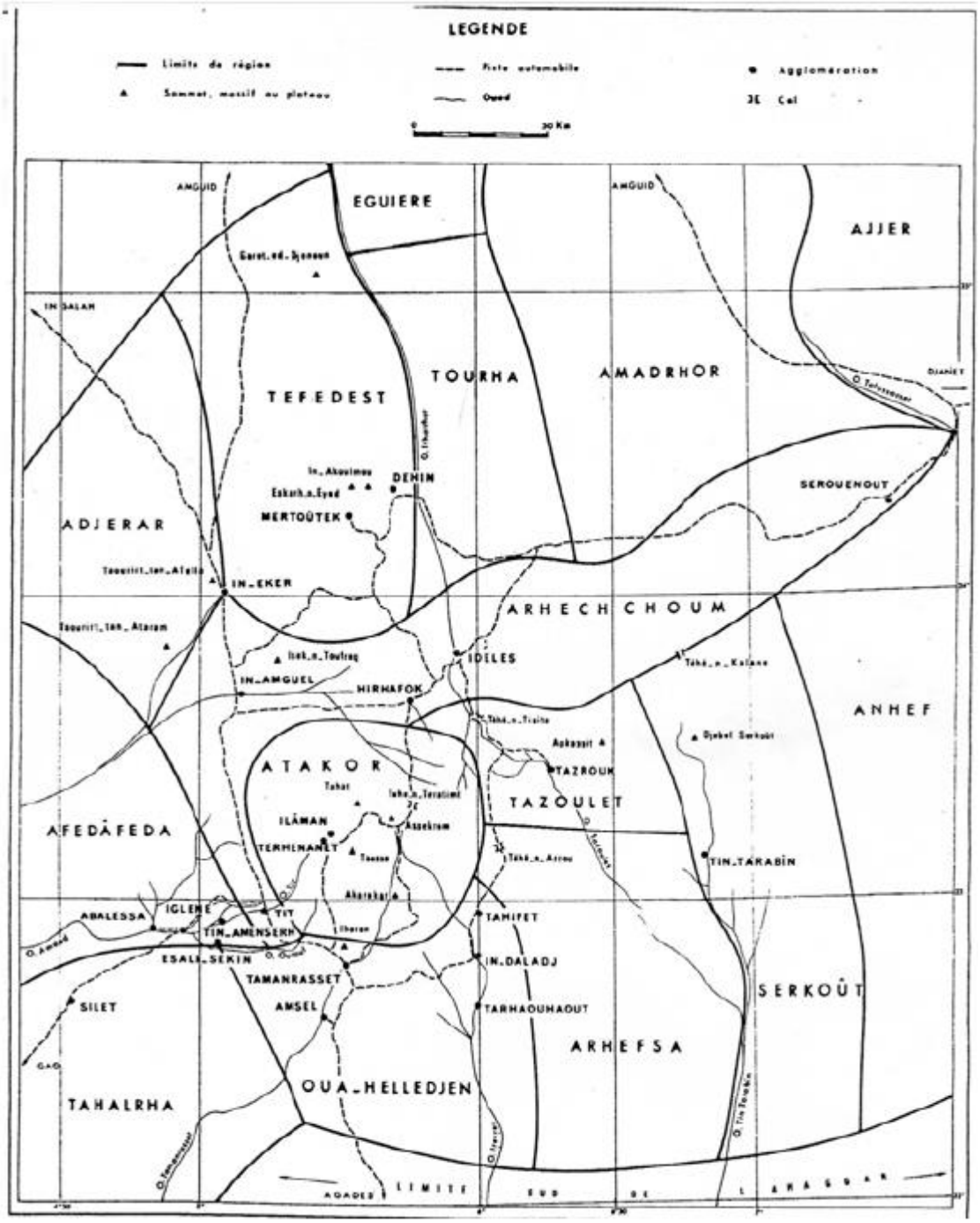

01ملحق رقم

[160] مرجع ديوان حظيرة الأهقار الوطنية (opna)

خريطة تبين مسار المستكشف هنري بارث[161]

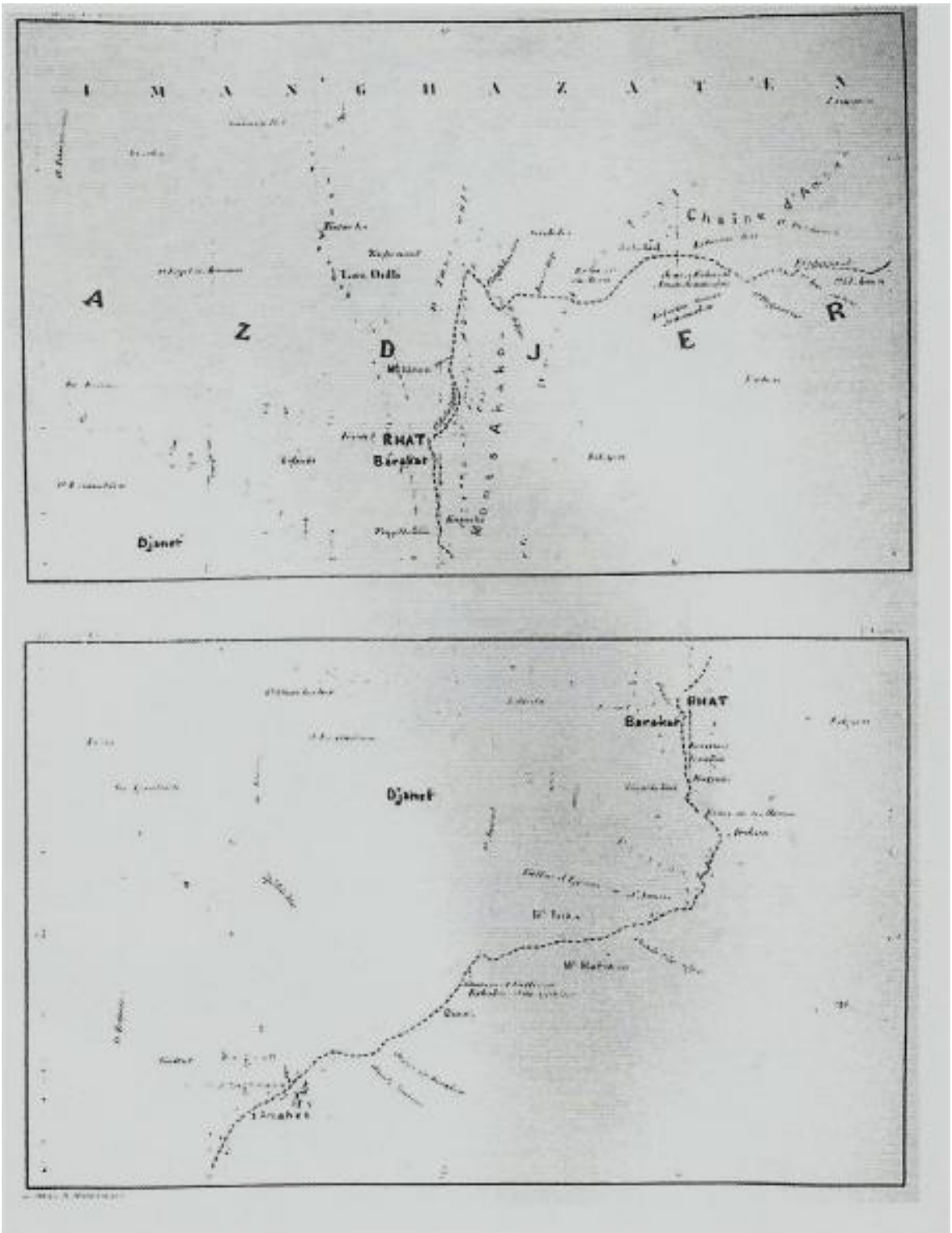

ملحق رقم 02

[161] حسن مرموري، مرجع سابق، ص 448

خريطة تبين مسار اسماعيل بوضربة 1858[162]

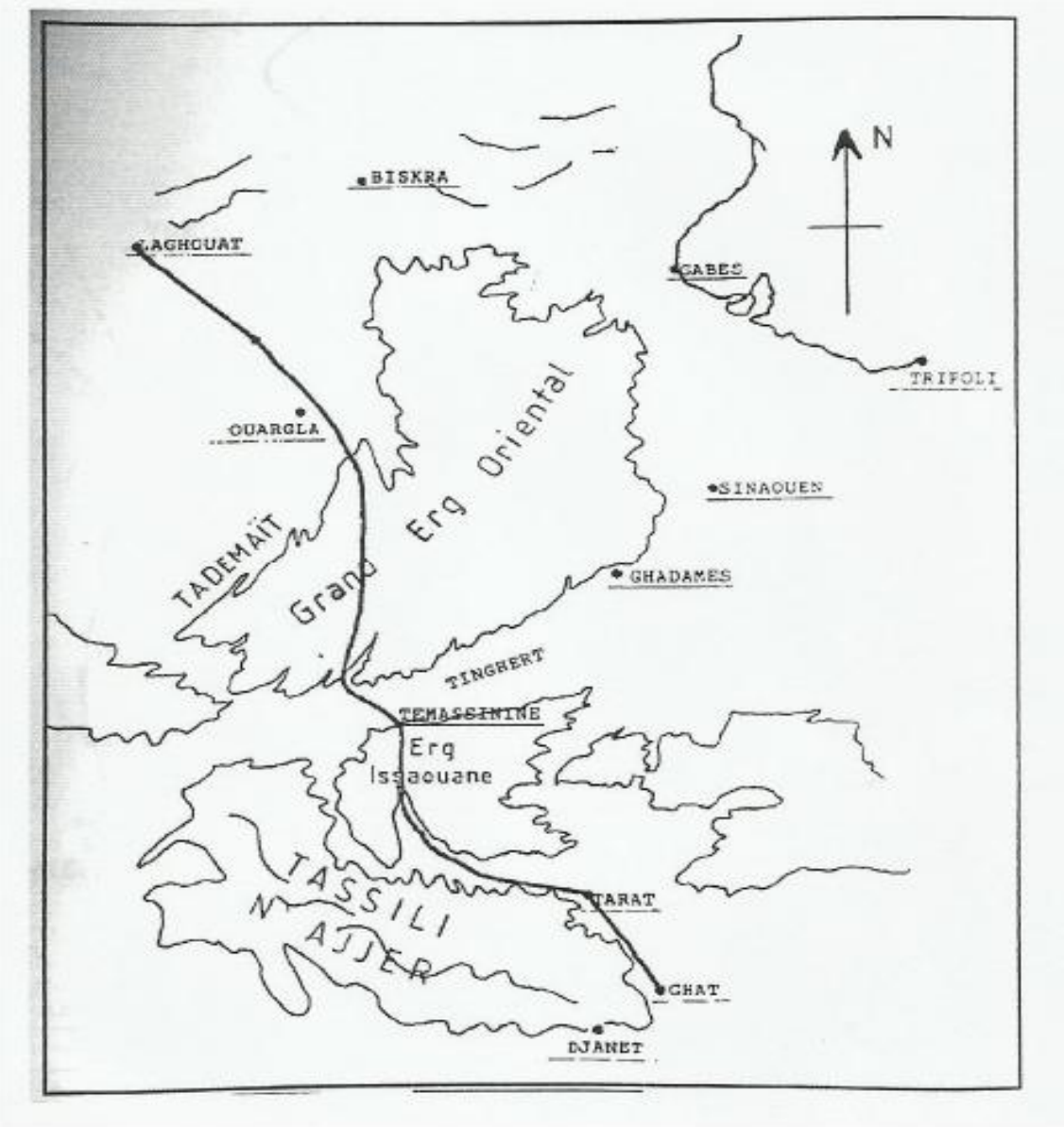

ملحق رقم 03

[162] حسن مرموري ، مرجع سابق، ص 449

خريطة تبين مسار روني كاييه 1827 _ 1828[163]

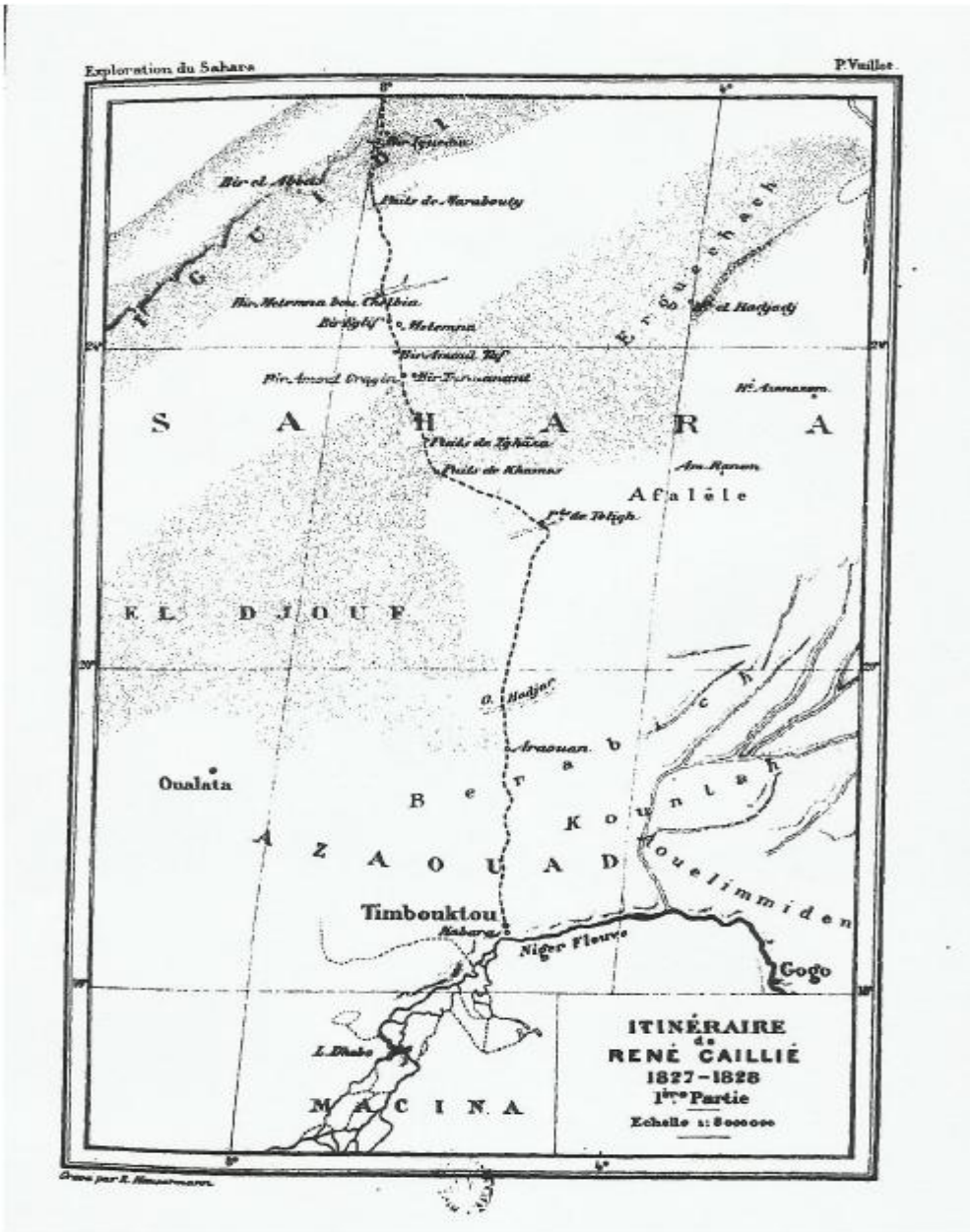

ملحق رقم 04

[163] اسماعيل لاويس و بوبكر وافي، مرجع سابق، ص 82

خريطة توضح مسار بعثتي فلاترز1880 _ 1881[164]

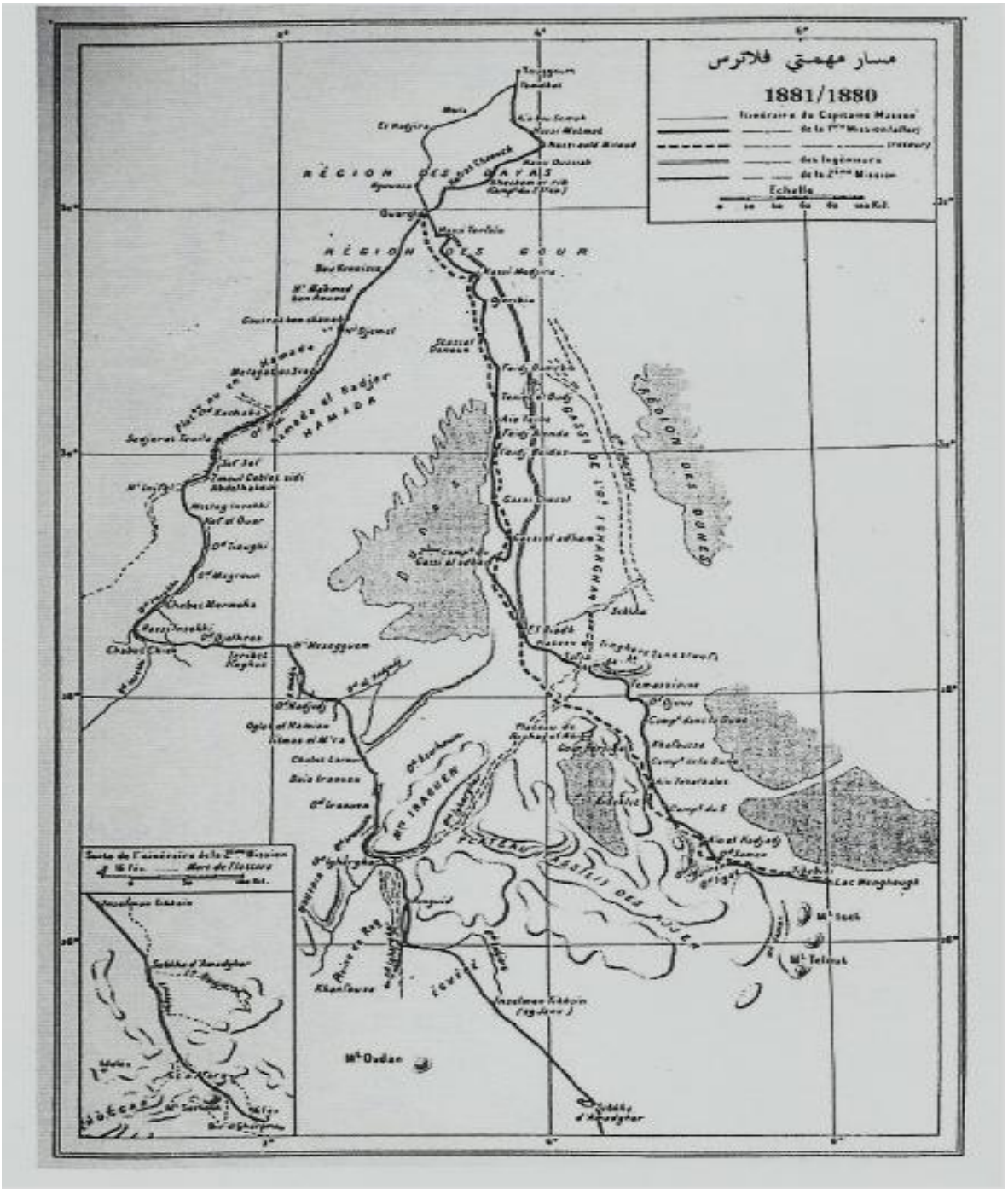

ملحق رقم 05

[164] حسن مرموري ، مرجع سابق، ص 453

ملحق رقم: 01

المدينة / الواحة	تاريخ احتلالها	ملاحظات
بسكرة	1844	
واحة الزعاطشة	1849	تم تدميرها عن اخرها
بوسعادة	مع مطلع سنة 1850	تم احتلالها عقب ثورة الزعاطشة
المنيعة	1891	بالاقتحام العسكري
الابيض سيدي الشيخ وجنان بوزرق	1895	لم تراعي قوات الاحتلال حرمة الاماكن المقدسة المتواجدة بها
تيميمون	12 ماي 1890	
تمنراست	1904	احتلالها شكل مركزا رئيسيا
عين صالح	1809	نفس الشيء
جانت	1909	نفس الشيء
كولمب ببشار	11 مارس 1904	
الأغواط	1852	احتلالها كان شبيها ببسكرة

جدول بين توزيع احتلال فرنسالبعض المدن والواحات الصحراوية[165]

[165] احميدة عميراوي، مرجع سابق ، ص 130

ملحق رقم: 02

تاريخ وقوعها	الطرف الجزائري	الطرف الفرنسي
اثناء وبعد حصار واحة الزعاطشة 1848ـ 1849	300 شهيد واكثر من 1000 قتيل ماتو تحت الانقاض	10 ضباط قتلى و60 ضابط جريح و156 جندي قتيل و740 جريحا
اكتوبر 1853	استشهاد الشريف عمار عمر وبمعية 500 شهيد	عشرات الجرحى
28 نوفمبر 1854	اشستشهاد اكثر من 500 جزائري	عدد هاصل من القتلى والجرحى يتراوح بين 50 ـ 100 فرنسي
28 ديسمبر 1899	600 شهيد جزائري	مابين 100 ـ 200 قتيل فرنسي
جانفي 1900		عشرات القتلى والاسرى
1900	عدد قليل من الخسائر	مقتل الملازم "فلاترس" والملازم الاول "ديانوس" وبمعية 61 من رفقائهم وحوالي 78 جنديا
07 ماي 1902	اكثر من 70 شهيد	عدد جرحى منهم الضابط "لابرين" و "دوفوكو"
29 مارس 1903		08 قتلى منهم العريف "فوربيه دوفي" و 06 جرحى
مارس 1908	02 قتلى و 15 جريحا	عشرات القتلى منهم الملازم "رونيه

جدول يوضح بعض الخسائر البشرية الفرنسي والجزائرية[166]

[166] احميدة عميراوي، مرجع سابق ، ص 131

ملحق رقم: 03

قبائل الاعراش والدوائر	المبلغ الاساسي للضرائب	الغرامة المالية بالفرنك	ملاحظات
اولاد قاسم	880	600،17	20 مرة الضرائب
اهل جار الله	465	9،300	نفس الشئ
اولاد سليمان بن حمزة	1280	12،800	10 مرات الضرائب
اولاد عبدالرحمان	1515	10،605	نفس الشئ
اولاد سالم بن عباس	970	6،970	نفس الشئ
اولاد سعدية	340	2380	نفس الشئ
بنى ملكان	2400	16،800	نفس الشئ
السراحنة واولاد سيدي محمد	33000	23،100	نفس الشئ
الشرفة	2160	8،640	4 مرات الضرائب
الزكارة	500	1،00	مرتان
اولاد عبدالرزاق	740	1،480	مرتان

جدول متعلق بالضرائب والغرامات المالية المفروضى على السكان بدائرة بسكرة العسكرية [167]

[167] احميدة عميراوي، مرجع سابق ، ص 142

ملحق رقم: 04

أسماء النواحي	وقرى	قبائل وعشائر	سكان مستقرون	سكان رحل	المجموع
ورقلة	7	3	14200	12000	26200
تماسين	16	2	9950	12600	22550
واد ريغ	36	2	31680	2850	33930
واد سوف	8	5	31170	1200	32370
الزيبان	37	18	30340	55300	85640
الرطابة	3	2	800	11850	12650
الحضنة	6	11	11500	34650	46150
المجموع	133	43	129040	130450	259490

جدول يوضح توزيع السكان في الصحراء الشرقية في الواحات الصحراوية[168]

[168] احميدة عميراوي، مرجع سابق، ص 09

محضر توقيع اتفاقية غدامس 1860[169]

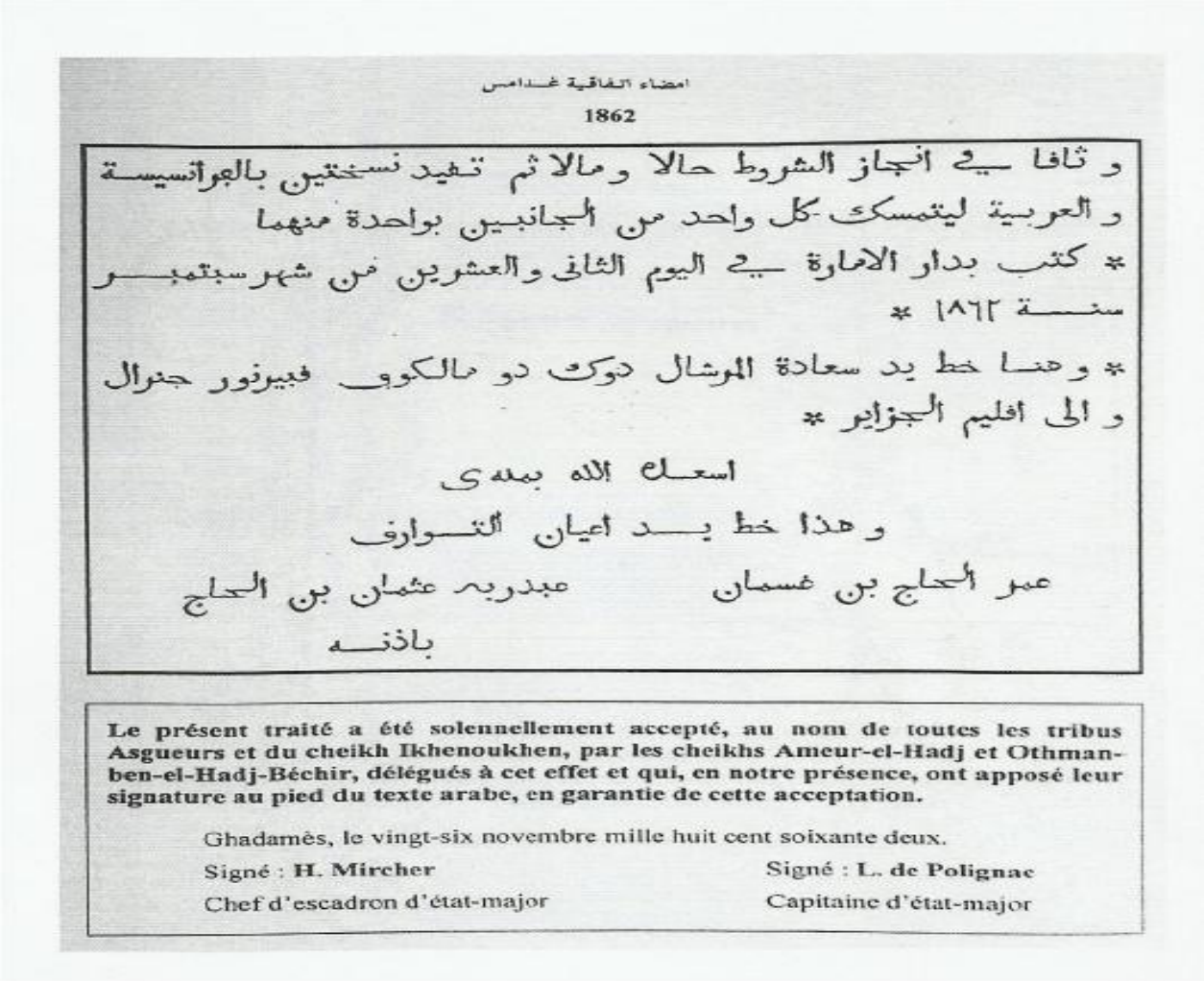

امضاء اتفاقية غدامس

1862

و ثافا في انجاز الشروط حالا و مالا ثم تفيد نسختين بالفرانسيسة و العربية ليتمسك كل واحد من الجانبين بواحدة منهما

* كتب بدار الامارة في اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٦٢ *

* وهنا خط يد سعادة المرشال دوك دو مالكوف فبيرنور جنرال و الى اقليم الجزاير *

اسعد الله بمدى

وهذا خط يد اعيان التوارف

عمر الحاج بن غسمان عبدربه عثمان بن الحاج باذنه

Le présent traité a été solennellement accepté, au nom de toutes les tribus Asgueurs et du cheikh Ikhenoukhen, par les cheikhs Ameur-el-Hadj et Othman-ben-el-Hadj-Béchir, délégués à cet effet et qui, en notre présence, ont apposé leur signature au pied du texte arabe, en garantie de cette acceptation.

Ghadamès, le vingt-six novembre mille huit cent soixante deux.

Signé : **H. Mircher**
Chef d'escadron d'état-major

Signé : **L. de Polignac**
Capitaine d'état-major

ملحق رقم 01

[169] حسن مرموري، مرجع سابق ص 453

رسالة من موسى آق مستان الى شارل ديفوكو المؤرخة في تمنراست يوم 06 مارس 1914[170]

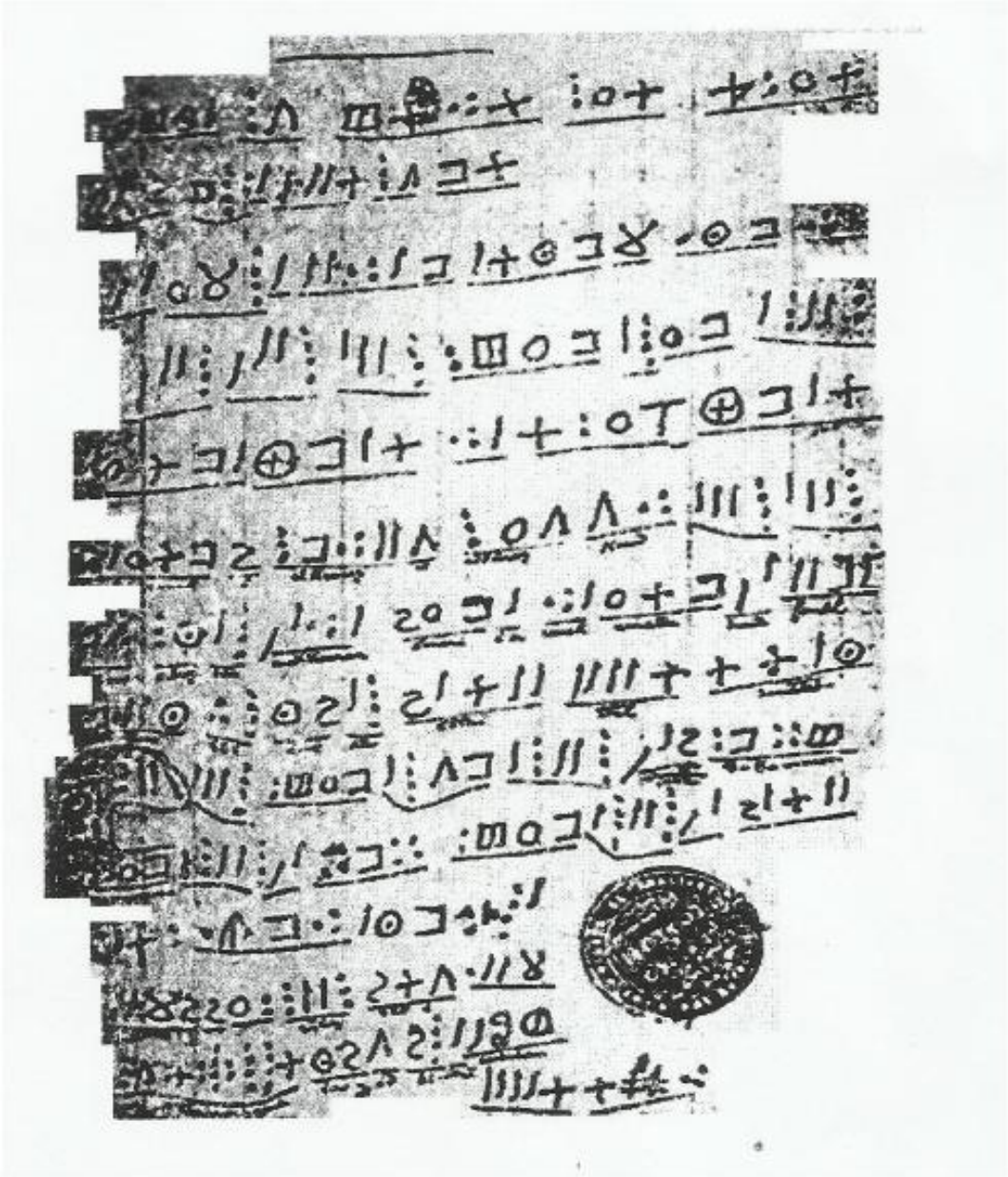

ملحق رقم 02

[170] حسن مرموري ، مرجع سابق، ص 467

قائمة المصادر والمراجع

أولا:المصادر

1. القران الكريم

الكتب:

1. روهلفس غيرهارد: عبر إفريقيا رحلة من البحر الأبيض المتوسط الى بحيرة تشاد و الى خليج غينيا، تر: عماد الدين غانم، ج01، ط01، مركزالدراسات والبحوث الإفريقية، سبها 1974م

القواميس والمعاجم:

1. بن منظور ابو الفضل :لسان العرب، مج4 ، ط1 ، دار صادر ، بيروت 1997م.
2. اليعقوبي احمد ابن اسحاق: معجم البلدان، تر: محمد الامين الضناوي، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت2002م.

الرسائل الجامعية:

1. لاويس اسماعيل، وافي بوبكر: توغل الإستعمار الفرنسي في لإقليمي أهقار وإزجر 1881 _ 1920، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر. 2012 _ 2013.
2. مياسي ابراهيم :توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري ،ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر العاصمة 1986-1987.
3. العامري الطاهر: دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الإستعمار،رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999م.
4. عليوان سعيد، التنصير وموقفه من النهضة الحضاريةالمعاصرة في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001.

5. عباد أحمد: المستكشفون الأوربيون في غرب إفريقيا بين الإستكشاف والإستعمار من نهاية القرن الثامن عشر الى نهاية القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، 2010 _ 2011

ثانيا: المراجع

الكتب:

1.ابوالقاسم سعدا لله:الحركة الوطنية الجزائرية المؤسسة الوطنية للكتاب ج1،الجزائر 1992م.

2.بازان روني :شارل دي فوكو ،نشر بليل ،باريس 1921.

3.بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830 _1871، ط1، منشورات دحلب الجزائر2007 م

4.بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، ط03 دار البصائر، الجزائر2009م.

5.بوعزيز يحيى: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط 01، دار البصائر، الجزائر2009م.

6.جلال يحى :تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ،دار النهضة العربية ،ج3،بيروت 1981.

7.جيلالي صاري :دور البيئة في الجزائر ،ط1،الجزائر 1983.

8.خالدي مصطفى ،عمر فروج:التبشير والاستعمار في البلاد العربية ،بيروت 1964.

9.رياض زاهر: استعمار افريقيا ،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة 1965.

10.زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 _ 1900 ط 01، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

11.زوزعبد الحميد:ثورات بوعمامة 1881-1908 جانبها العسكري 1881-1883 ،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر1986.

12.س.هوارد: اشهر الرحلات في غرب افريقيا، تر: الشيخ عبد الرحمان عبد الله، ج01، ط01: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1996 م.

13.العربي اسماعيل: الصحراء الكبرى و شواطئها، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م .

14.عزوزي محمد الطاهر: الغزو الثقافي والفكري للعالم الاسلامي ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر 1999.

15.عميراوي احميدة :فواصل من الفكر والتاريخ ،دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة 2002.

16.عميراوي احميدة: سليم زاوية، محمد السعيد قاصري، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 الجزائر، دار الهدى، 2009م.

17..لونسي ابراهيم :اهمية الصحراء في استراتيجية الاستعمار الفرنسي ،جامعة الجزائر.

18نوشي اندري واخرون :الجزائر بين الماضي والحاضر،تر:اسطنبولي رابح ومنصف عاشور ،ديوان المطبوعت الجامعية :الجزائر

18.ماكفيدي كولين: اطلس التاريخ الافريقي، تر: مختار السويفي، ط01، الهيئة المصرية للكتاب، مصر1987 م.

19.مرموري حسن: التوارق بين السلطة التقليدية و الادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، ط01، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2010 م

20.مصطفى عبد القادر: جغرافية القارة الافريقية وجزرها، ط01، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة 2000 م.

21.مياسي ابراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ط01، دار هومة، الجزائر 2005 م

22.الفاسي علال :حديث عن التبشير وبعش الوثنيات الطائفة الهندية سلسلة الجهاد الاكبر، الرباط 1974.

23.وعلي محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر 1830 - 1871، ط1، منشورات دحلب،الجزائر 2007 م.

المحاضرات و المجلات والملتقيات:

1. محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي ،كتاب الاصالة ،وزارة الشؤون الدينية ،تمنغست.
2. فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية درسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول فسل الصحراءعن الجزائر،دار القصبة ،المركز الوطني للدرسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ،2009.
3. بوباية عبد القادر :مقال منشور دور الرحالة والمستكشفين الاوربيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مجلة العصور الجديدة–العدد6–عدد خاص بخمسنية الاستقلال ،2012 .
4. فرتوني بمولود: مقال منشور بعنوان الاطماع الاوروبية في الصحراء الجزائرية وسياسة فرنسا في الهقار نشر يوم 2014/03/30 على الساعة 11:58.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

1. Auguste ch erbonneau:relation du voyage de M.le capitaine de bonn emaine àR'dames 1856-1857,(paris.A.bertr.
2. Carrot; histoirre gènrale d’lagèrie; algar; crxenzo 1910

3. Dictionnaire universel de nom propre lles potite. Roberte paris le 1981
4. ELIKA M'bokoto, des missionaries aux éxplorateurs, les eur opéens en afrique paris, dan frank ,1978.
5. Jean françaiçs de colomb :Exploration des ksours et du sahara de la provine d'oran_.(alger -1858.
6. MAX MAREhand: History abrègèe de algèrie part sharah a MARS 1957
7. MGR : baunard ; le cardinal lavigerie ; paris 1922
8. Note sur moussa ag amastane ; amènokal du hoggar ; et sur le possibilitè de rattacher a' son commandement les quelques tribus touareg eparses dans le SHARA oriental algèrien par le capitain depommier ; le 6 novembre 1916

9. Paul flatters ; les deux missiones du colonel flaters en afrique ; d'après des notes de voyoges ; les journaux de route de colinelet les intrrogatroires subis par les survivante de le deuxième misson ; paris 1884

10. PAUL LESSOURD : l'deuvrd civilisatrice et .scientifique des missions catholiques

11. Repeciecè cure de maison carrèe ; l'algèrie .chretienne esquise historique 1830 – 1930 ; alger

Robert sechenereb : le 19 eme siecle de 12.
.l’escpantion europeenne (1814 , 1914) , paris 1955

13.Y – L lansen ; les principes de colonisation
pari ;1897

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
الاهداء.....	
الشكر.....	
قائمة المحتويات.....	
المقدمة العامة.....	**أ_ب_ج_د_هـ_و_ز**
الفصل الأول: جغرافية المنطقة الصحراوية الجزائرية.....	**15-03**
المبحث الأول: الخصائص الطبيعية.....	**08-03**
المبحث الثاني: الخصائص البشرية.....	**08**
المبحث الثالث: سياسة التوغل الاستعماري في الصحراء الجزائرية.....	**14-09**
الفصل الثاني: : مرحلة الاستكشافات.....	**42-17**
المبحث الأول: ظهور البعثات الاستكشافية.....	**28-19**
المبحث الثاني: ظهور الجمعيات الجغرافية.....	**31-28**
المبحث الثالث: ظهور البعثات البشيرية.....	**42-31**
الفصل الثالث: التوسع الفرنسى في الصحراء الجزائرية وانعكاساته من خلال بعثة فلاتر.....	**73-44**
المبحث الأول: تحديد بعض مناطق النفوذ الفرنسي في الصحراء.....	**54-45**
المبحث الثاني: البعثة سيرها من ماي 1881 الى ديسمبر 1882 م.....	**67-54**
المبحث الثالث: انعكاسات التوسع الفرنسي في الصحراء.....	**73-67**
الخاتمة.....	**76-75**
الملاحق.....	**82-78**
قائمة المصادروالمراجع.....	**94-84**
فهرس الموضوعات.....	**96**